من العماد الاصبهاني

الى محمد بهجة الاثري

بقلم عجاج نويهض

* * *

اننا في هذه الكلمة ، طائفون قليلا باربعة معادن هم من خير بناة مجد العروبة والاسلام ، سيفا وقلما ، جيشا وكلما ، في القرن السادس الهجري في فلسطين :

١ ــ الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي .

٢ ــ عماد الدين الاصبهاني الكاتب .

٣ ــ القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي وزير السلطان صلاح الدين .

٤ ــ السلطان صلاح الدين الايوبي .

ونقطة البيكار تضم جناحين ، الاول العماد او عماد الدين الاصبهاني الكاتب ، صاحب « الخريدة » الخالدة المبعوثة مجددا في العقدين الاخيرين من هذا القرن الرابع عشر ، والجناح الثاني يرفرف فوق المقدمة الفريدة الرائعة التي وضعها ميزان التحقيق في هذا العصر الاستاذ العلامة محمد بهجة الاثري لبعث « الخريدة » بنشر علمي حديث في القرن الرابع عشر .

ولا نتناول من الاربعة غير « العماد » الا شيئا يسيرا ، وكذلك القاضي الفاضل وهو والعماد فلقتا حبة واحدة ، فاننا نمر به مرورا . فنور الدين وتلميذه صلاح الدين هما شفرتا السيف في الحروب الصليبية ، والقاضي الفاضل والعماد هما رنينه وبريقه في فلسطين وحطين .

وحتى نستطيع النظر بيسر وسهولة الى الحقائق المشتركة بين هؤلاء الاربعة المكرمين ، فنذكرهم هنا جميعا في صعيد صغير من التواريخ لموالدهم ووفياتهم ، وهم ابناء جيل واحد (واجتهدنا ان نتاكد من صحة الارقام فمن رأى خللا فليتفضل بالتصحيح وانا له شاكرون) :

	المولد	الوفاة	العمر
نور الدين	٥١٢ هـ	٥٧٠ هـ	٥٨
العماد	٥١٩ هـ	٥٩٧ هـ	٧٨
القاضي الفاضل	٥٣٠ هـ	٥٩٧ هـ	٦٧
صلاح الدين	٥٣٢ هـ	٥٨٩ هـ	٥٧

فانت ترى ان الاربعة الذين هم صورة القرن السادس الهجري وبهم تغير وجه العالم الاسلامي ، وقع اول موالدهم وآخر وفياتهم في نطاق ٨٥ سنة ، او بين ٥١٢ و ٥٩٧ ولنلاحظ ايضا ان نور الدين وصلاح الدين متقاربان في مدى العمر ٥٨ و ٥٧ سنة ، والقاضي الفاضل اكبر من العماد بـ ١١ سنة وتوفيا في سنة واحدة .

وكما بقيت آثار سيفي البطلين المجاهدين نورالدين وصلاح الدين على وجه الزمن ثمانية قرون ، كذلك بقيت آثار قلمي القاضي الفاضل والعماد خالدة الى اليوم وهي سر التراث الى ما شاء الله . وكما ان نور الدين مهد الطريق لصلاح الدين لاستئصال الصليبيين من داخل فلسطين ، الا بقايا على السواحل اقتلعتهم دولة المماليك فيما بعد ، كذلك جاءت الاقدار بالعماد من اصبهان وبغداد الى دمشق ، ثم التحم الاثنان معا وقاما بتسجيل وقائع الجهاد في الحروب الصليبية تسجيلا رائعا ، باسلوب ذلك العصر ، من الترصيع والتسجيع ، وهذه الجناسات وان خرجت عن اسلوبنا اليوم غير انها في التاريخ كانت وشيا لاعلام الظفر والنصر .

والان نترك نور الدين ، وقد توفي وصلاح الدين يتهيأ ، توفي قبل يوم حطين بـ (١٣) سنة ، ونترك صلاح الدين ايضا ، في رحمة الله الواسعة ، ونتحول الى « العماد » و « الخريدة » و« الاثري » صاحب المقدمة ، وهنا نحط رحالنا .

ولكننا لا نتناول الامور التالية في كلمتنا هذه :

١ ــ الكلام على التراث العربي الاسلامي ، مع ان قاربنا يجري في محيط التراث وعبابه .

٢ ــ الكلام على ما صنعت المجامع العلمية والمعاهد والجامعات واهل الغيرة والبحث في العواصم العربية ، ابتغاء العثور على اجزاء « الخريدة » وجمعها ، ليقابل بعضها ببعض ، والتفتيش عن ذلك في مكتبات كلكتا وطهران واستنبول والقرويين وبروسه هذا في العالم الاسلامي وروما وليون وميونيخ وباريس ولندن في العالم الغربي .

٣ ــ الكلام الذي يصف كيف اخذت كل جهة في امهات العواصم العربية كبغداد ودمشق والقاهرة وتونس ، تعمل منفردة على العناية باخراج تلك الاجزاء من « الخريدة » ، اعني الاجزاء التي تعود الى شعراء كل قطر من تلك الاقطار (1) .

فيبقى جل مقصدنا العماد والخريدة والاثري كما قلنا . وان ما لدي من هذه الاجزاء ما يلي :

الاول الصادر ١٣٧٥ ــ ١٩٥٥ والثاني الصادر ١٣٨٤

---

(1) قال المحقق الدكتور شوقي ضيف في تعليقه على نشر « الخريدة » في الجزء الثالث من « تاريخ آداب اللغة العربية »الجرجي زيدان ص ٦٨ ما يلي : ــ «نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر » (في مصر) قسم شعراء مصر من كتاب الخريدة نشرة علمية محققة ، وتعنى العراق بنشر قسم العراق ، وعني شكري فيصل بنشر قسم الشام وقد ظهر منه الجزء الاول » ولا ذكر لسنة طبع « تاريخ آداب اللغة العربية » لزيدان .

ـ ١٩٦٤ (الثالث لم يكن قد صدر حتى آخر سنة ١٩٧٣) والرابع وهو مجلدان صدرا ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣ .

والشعراء العراقيون الذين يقفون تحت مظلة « الخريدة » في الاجزاء التي تتناول العراق ٢٨٨ شاعرا وشاعرة كما اخبرنا الاثري وهؤلاء يؤلفون الثلث من المجموع لعدد الشعراء في كل الاجزاء .

ولما كانت هذه الاجزاء العراقية تصدر في اوقات مختلفة متباعدة ، فالمحقق الاستاذ الاثري ، بعد ان وضع مقدمة للجزء الاول (١٩٥٥) في (١١٠) صفحات ،وفيها استوعب واستوفى ، واحاط وجلا وكشف ، مما سنصفه هنا عما قريب ، فالاجزاء التي صدرت بعد الاول بمقدمته الفريدة هذه ، باتت ولا كبير حاجة بها الى مقدمات ، الا ما يتعلق بمنهج التحقيق او اشياء يضيفها الى المقدمة الكبيرة ، او يشرح ما يعاني من تعب مضن في سبيل هذه الاعمال التراثية العلمية ، ولخدمة الامة العربية .

فتحقيق اجزاء « الخريدة » وان كان موزعا قطريا ، غير ان الفائدة هي فائدة الامة العربية على وجه الارض ، والاشعاع انما هو اشعاع التراث المحرك صوته لمن في الاجداث .

الجزء الرابع فيه مقدمة في ١٠ صفحات واولها :

« اقدم الى قراء العربية الاكرمين هذا الجزء الاخير من قسم شعراء العراق من كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » حامدا الله تعالى على توفيقه اياي وتسديده خطاي فيما انجزت» . وقال الاثري في هذه المقدمة : « ولا يذهبن وهم احد الى انني ارى مؤلف هذا الكتاب الكبير بدعا بين مؤلفي العرب . فقد سبق ان ذكرت في دراستي له في صدر الجزء الاول انه سبقه الى التأليف على هذا النحو الثعالبي في « يتيمة الدهر » ، والباخرزي في « دمية القصر » ، والحظيري الكتبي في « زينة الدهر » . غير ان الفرق بين العماد وسابقيه هو انهم هم كانوا منقطعين الى التأليف ولا تشغلهم شواغل اخرى، اما العماد فلا يستطيع ان يعطي للتأليف من غير وقت استجمامه ،وهو مع السلطان يرحل برحيله وينزل بنزوله، وهناك الديوان وشؤونه من رسائل السلم والحرب ، ومع هذا كله فقد كان انتاج العماد اوسع من انتاجهم ، وعباب بحره ابعد شاطئا وساحلا ، وفي هذا الشوط الصلاحي الموفق استطاع العماد والقاضي الفاضل ان يؤلفا للدولة الايوبية الحروب الصليبية في فلسطين ، وان يضعا تاريخ الدولة السلجوقية ، ورسائل الديوان لو كتب لها البقاء لملأت رفوف عشرات المكتبات بالمجلدات الضخمة .

الجزء الاول (١٩٥٥) من هذه الاجزاء لشعراء العراق في « الخريدة » جاء في صفحة غلافه من خارج وفي صفحة الوسمة من داخل ، ان التحقيق والضبط والشرح وكتابة المقدمة قام به المحقق محمد بهجة الاثري عضو المجمع العلمي العراقي ونائب رئيسه الاول ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق، وان اعداد اصل هذا الجزء والمشاركة في تحقيقه ومعارضة نسخه ووضع الفهارس ، قام بذلك الدكتور جميل سعيد الاستاذ بكلية الآداب والعلوم في بغداد . وبعد الجزء الاول قام بالتحقيق كله للاجزاء الاربعة ، وانفرد واستقل به المحقق الاستاذ الاثري وقد قال : « ولا بد لي ـ بعد ـ من ان الم بوصف ذلك على قدر الاستطاعة ، بعد ان اعرف القراء بمؤلف الكتاب وبالكتاب ، ليكونوا على بينة من مدى الصلة بين الاثر والمؤثر » . وليسمح لنا الاستاذ الاثري حجة التحقيق ، ان نجيب على هذه العبارة بقولنا اننا لا نحتاج الى ان نقول للناس في مشرق او مغرب من هو « الاثري » الذي شمس فضله ساطعة في الآفاق ، وكتبه المحققة ، غير « الخريدة » ، جاوزت العراق ، ولها في المحافل العلمية رائج الاسواق . وانما نرى ان من الواجب علينا ان نسرح الطرف قليلا في مروج المقدمة وهي در نضيد ، وحقا فتح في فن المقدمات فريد ، ليعلم محبو ذخائر العرب المكنوزة في تراثهم اي عمل كبير قام به الاثري في احياء « العماد » و « الخريدة » . وطريقته هذه حرية بان ينسج على منوالها ، ويجرى على غرارها في الوانها وظلالها .

ثم اخذ يبسط « التعريف بعماد الدين الاصبهاني » فاطلعنا على ان الرجل في حقيقته عربي قرشي النسب ، لا كما ذكره المؤرخون العابرون او كما يتبادر الى الذهن من نسبته الاصبهانية . فالعماد نشأ في اصبهان وبيت آبائه في اصبهان قائم على وجاهة ورياسة . وامر عروبته وقرشيته ليس ظنا ولا ترجيحا ولا استنتاجا ، وانما اخذه الاثري من ابي الفوطي المؤرخ المشهور ، وقال فيه الاثري انه من اوثق المؤرخين الذين ترجموا « للعماد » ولرجال بيته . ثم يضيف الاثري الى صحة النسب القرشي جملة براهين لا ترد .

ومن المفيد ان اقتطف من حقائق المقدمة ما يلي :

١ ـ بيت « العماد » وبيئته ، علمي محض . وثقافته فارسية عربية ، وعروبة ثقافته العربية بين العراق والشام ومصر .

٢ ـ جاء بغداد سنة ٥٣٤ وهو في الخامسة عشرة .

٣ ـ درس في بغداد في « المدرسة النظامية » وكان مجليا في ارتشاف العلوم . ثم عاد الى اصبهان سنة ٥٤٣ وتفقه تفقها واسعا . ثم حج سنة ٥٤٨ وسنة ٥٥١ انتقل الى بغداد مع ابيه بغية الاقامة والتوطن . ولكن في هذه المرة انصرف الى الادب انصرافا استغرق كل استعداده وعكف على الكتابة نظما ونثرا فبرع فيهما اي براعة وصار ادبه اوسع من فقهه .

٤ ـ شيوخ العماد ٢٩ شيخا احصاهم الاثري وترجم لهم تراجم مقتضبة ، ومنهم ابو عبد الله الفراوي (نسبة الى فراوة (بضم الفاء) ولذلك قيل في مدحه « الفراوي

الف راوي » وقال الاثري من ناحية استقصاء هذه الينابيع « استقصيتهم في مختلف المظان بقدر الطاقة ، ولـن تجدهم مذكورين في غير هذه الدراسة على هذا النحو من الجمع والحصر ، ولا ادعي اني استوفيتهم جميعا » . لله در « الاثري » ففي كل صفحة من صفحات المقدمة النفيسة ترى آثاره من الكشف والتصحيح والتنبيه على المغالط ما يدهش ، حتى انك لتعجب من قدرته على الصبر وهو يتابع المظان ويستخرج منها كل شيء جديد كله فائدة .

٥ ـ في بغداد امسى العماد في رحاب الخلافة العباسية وهو الى مزيد من الارتفاع بكفاياته . واميـر المؤمنين هو المقتفي لامر الله (مدته ١٤ سنة واشهـر) والمقتفي حمدت سيرته ، فمدحه العماد مدحا رائقا اناله رضاه فتولى العماد اعمالا في واسط والبصرة بالنيابة عن الوزير عون الدين بن هبيرة ، وضخم شأنه .

٦ ـ ولكن التوت الحال معه فجأة ، اذ توفي الوزير مسموما فاعتقل العماد مع من اعتقل وزج في السجـن ، فراح يستعطف الخليفة المستنجد ، (ابن المقتفي لامر الله) ويستشفع « استاذ الدار » عماد الدين الى الخليفة ، ورفع اليه شعرا منه :

قل للامام : علام حبس وليكم   اولوا جميلكم جميل ولائه

فامر باطلاقه ، ومن هنا ركبه الخوف والقلق فتحول الى دمشق سنة ٥٦٢ وهنا تنتهي مرحلة العماد في بغدادويتجه طريق مسيره الى مصير له في الشام كان معه على موعد .

٧ ـ كان صاحب الامر في الشام وقتئذ الملك العادل نور الدين محمود بن اتابك زنكي ، الخافقة اعلامه ، الطائعة له ايامه ، والحروب الصليبية مشبوبة ، ومدبر الدولة وقتها قاضي القضاة الشهرزوري ، فتلقى العماد بالكرامة ... والاقدار ، تنسج احيانا خيوط التوفيق بسرعة : فقد كان للعماد معرفة وثيقة بنجم الدين ايوب والد صلاح الدين في تكريت ، ايام كان نجم الدين واليا عليها . قـال الاثري : « فلما سمع نجم الدين بوصوله بكر الى منزلـه لتبجيله ، فاهتز العماد لزيارته له ، ومدحه بقصيـدة طويلة اولهـا :

يوم النـوى ليس من عمري بمحسوب   ولا الفراق الى عيشي بمنسوب »

وكان اخو نجم الدين ، اسد الدين شيركوه بن شادي وابنه صلاح الدين يوسف بن ايوب ، بمصر ، فبشـره العماد بولاية صلاح الدين الديار المصرية . وايضا فلننظر الى الاقدار فنرى البشارة تتحقق بعد سنتين ، وقـال العماد « نظمت ما في الغيب تقديره » . فشكره نجم الدين وزاد في اكرامه ، وقدمه على الاعيان ، كما زاد العماد في رقيق المدح وعالي الثناء ، له ولاخيه ولابنه . وبقي العماد في كنف بيت صلاح الدين الى آخر حياته ، وفي دمشق تولى ديوان الانشاء في الدولة النورية في ظل الملك العادل .

٨ ـ والان عماد الدين على الباب ليدخل فـي قمة مصيره . ومن الان والسنة ٥٦٣ الى سنة وفاته ٥٩٧وهي مدة ٣٤ سنة ، كان العماد في فلك الدولتين النوريـة والصلاحية ، حتى وفاة صلاح الدين ٥٨٩ ثم اخذتاحوال العماد تختل ، فانكمشت اموره فلزم بيته واقبـل على التأليف ، ومن جملة كتبه الخالدة « الخريدة » التي جمع فيها تراجم شعراء المشرق والعراق والشام ومصر والمغرب والاندلس ، واعلمنا الاثري ان الخريدة تغطي تراجم قرن ، بعض الخامس ، والسادس . وعاش بعد صلاح الدين استاذه ٨ سنين و ٦ اشهر واياما وكانت وفاته في دمشق ودفن فيها سنة ٥٩٧ .

اما قوة البعث لشخصية العماد وروحيته في مقدمة الاثري فشيء عجب . وقـد اخرت الكلام على هذه الناحية الى هذا الموطن حتى لا يتشعب معي الكلام الـى نـواح اخرى ، واسوق ما عندي من انطباعات ، ووجهي نحـو بغداد من راس المتن محييا حجة التحقيق في هذا العصر ، الاستاذ الاثري ، فاقول :

١ ـ اذا شاء احد ان يضع اطروحة او دراسة فـي العماد بعد مقدمه الاثري ، فاني ناصحه الا يجازف ، مع ان الدراسات العلمية مباحة للجميع ولا تقبل الحصر ومن شاء ان يعرف العماد فعليه بهذه المقدمة .

٢ ـ انه لم يترك ثقب ابرة في سيرة العماد الا سلط عليه المحك . انك لتدهش من الغربلة ، والتصحيـح للمؤرخين وواضعي التراجم . لاحق الاثري العمـاد فـي سيرته ملاحقة الشرطي لمن يريد ان يمسكه ويأخذ به . من يقرأ المقدمة لاول مرة ويظن انه شبع منها فانه لن يلبـث ان يعود اليها جائعا ، ولن يشبع .

٣ ـ والنمط البديع تراه في تحليل الخيوط وربط الاجزاء الصحيحة بعضها ببعض . فلما سألت نفسي لمـاذا يتأخر اصدار الاجزاء فوجدت الجواب في المقدمة . فانت بعد القراءة للمقدمة تشعر بان لا شكوك في صدرك بـل بحلاوات المعرفة المنقاة ، وتشعر ايضا بعظيم ما بذل مـن تعب حتى انجلى العماد في اواخر القرن الرابع عشر كمـا كان يتلألأ في القرن السـادس .

٤ ـ وبعد ان تكلم الاثري عن تراث العرب المحفوظ في الاجيال وقد يسر الله له من ابنائه من يخدمونـه بالمجموعات والتراجم وما اشبه ، قرنا فقرنا ، حتى القرن الثالث عشر ، قال : « ثم ما زالت هذه السلسلة تمتد مع الزمن وتوصل حلقة بعد حلقة من بعد العماد الاصبهاني الكاتب ، لم تكد تنقطع الا في القرن الرابع عشر هذا ، اذ لم يؤلف فيها كتاب مستوف للشعراء ، وغاية ما الف مجاميع اقتصرت على شعراء قطر واحد قلما تتعداه الى قطر اخر ، ومنها ما تعلق بجمعه اناس لم يتحققوا بالشعر ، بل لعلهم لا يحسنون قراءة الشعر ، ولا يفرقون بين مستقيمـه ومعوجه ، وهذا من دواهي التأليف في هذا العصر » .

شرارات النبوغ في ذهن العماد كانت جزءا من قضاء وقدر . ذلك، ما اختاره الله من الخير للتراث العربـي

الكلمات والشاعر

في عالم الكلمات دنيا للشعر والشعراء عليا
تمتد افاقا واشراقا واشواقا ورؤيا
في ظلها للفكر منطلق وللارواح لقيا
جمل يريح النفس معناها شذى ويشد وهيا
رفافة شفافة نجتازها مشيا وجريا
نعشوا الى اضوائها ونعيشها حلما ووعيا
تترقرق الآمال في آفاقها وتضيء حليا
وتموت في اعماقها الالام ايمانا وهديا
لا نستفيق هوى ولا نسلو لها نفما وريا
كانت وما زالت لنا زادا نموت به ونحيا

في عالم الكلمات دنيا اغرى بها (غيلان) (١)(ميا)(٢)
نظم النجوم لها وصاغ الشهب والاقمار حليا
ونضى على اعطافها من نضرة الازهار وشيا
وافاض من الق الصباح على محياها وحيا
ومضى وخلف بعده شعر يهز القلب حيا

في عالم الكلمات دنيا سقيا لها مني ورعيا
كم بت في احضانها استلهم الاضواء وحيا
واساهر الاشواق منطلقا بها فكرا ورأيا
واذيب انفاسي وامزجها بها راحا واريا
وازفها للظامئين حبا وللغافين وعيا
والشاعر الفنان دنياه من الكلمات تحيا

---

(١) غيلان هو ذو الرمه (٢)ومي محبوبته .

جازان ـ السعودية		محمد علي السنوسي

المتضمخ بالطيب ، والرقعة الاسلامية التي ترجم لشعرائها الترجمات المنقاة ، الجامعة ، تشمل المواطن الاسلامية الحية الثقافة . واني لاعجب !! كيف تمكن العماد من امتصاص ما امتص من خبر وعلم ومعرفة بشأن المغرب والاندلس وهو في المشرق مع السلطان او في الديوان او على سفر رسمي !

ولنا في النهاية عند الاعتبار آية !!

هذه العربية المؤيدة من الارض والسماء . لا استطع ان افهمها اليوم الا انها قوة من قوات الكون الثابتة الابدية، كالشمس والقمر والنجوم ، ووصولها الى قمة حضارتها قبيل عصر النبوة شيء ينطوي على سر لم نستطع ان نكتنهه حتى اليوم !!

هذه الانكليزية كانت في زمن شكسبير شيئا وهي اليوم شيء آخر ، وانظر في معجماتها تر العجب ، واقرا التوراة بالانكليزية القديمة وقارن ذلك بانكليزية اليوم فكأن اللغة دابها ان تزحل وتتغير ، ويراد اليوم ان تجعل لغة « الكتاب المقدس » عصرية !! فتأمل ! قد انقضى على العربية ، لغة السماء والارض على الاقل ١٦ قرنا وهي معدن نضارة ، وينبوع غضاضة ، لا تصدأ لان معدنها من فوق الذهب والبلاتين . اذا تكلم جبريل يوما فالشموس والاقمار تتعلم منه .

من « العماد » الى « الاثري » ثمانية قرون !

رأس المتن ـ لبنان		عجاج نويهض

الحجازية

لقد هيأ الله للشاعر ان يؤدي فريضة الحج هذا العام وحين كان في مهبط الوحي لم يجد بدا من تسجيل عواطفه واحاسيسه بهـــذه القصيـــدة

نعمان ماهر الكنعاني

***

هي ، هذي الصحراء ، يا احلامي   فاسمعي صوت هاتف الالهـــام
هي، هذي الصحراء، نجواك ماذا   ذخر الوصف للقوافي الظوامـي
هي، هذه الصحراء، يا سانحات الـ   شعر تدريـن ما يجـن هيامـي
السـراب اللمـاع يغمر عينـي   بسنـى فاتـن الـرؤى بسـام
وفساح الآفـاق تمـلأ نفسـي   بهـوى مبهـم المشـاعر سامـي
يـا منـى خافقي وهمس يقينـي   انتمـــا نحو (زمزم) و (المقام)
ارج ام سنى ؟ تعاليـت ربـي   ومن الرمـل اقبـلا والغمـام

قادهـا الحـب للقـاء فسـارت   تسلب الارض افقهـا المترامـي
وتلف الفـلاة عجلى ، وتطوي   لاحب الـدرب طي بـادي العرام
ودعت في الحمى عشيرا واهـلا   لنوى جـل عـن حـذار الملام
كلمـا عرسـت بـدارة قـوم   علـم الليـل انهـا لاعتـزام
تصل الصبـح بالغروب وتشكـو   قصـر الشوط لاعتيـاق الظـلام
وطوتهـا خمسا كومضـة حلـم   طالعـت خاطر الرؤى فـي المنام
والفيـافي ، وهـادها ورباهـا   عيلم زاخر الغـوارب طامـي
والقـرى في رحابهـا ساخصات   مثلمـا المـوج جـاش كالاعـلام
يا خيـام الصحراء كم من حديث   في فؤادي عن الهـوى والخيـام
وبناة التاريـخ ابنائك الصيـد   ودنيـا السيـوف والاقـلام
وانطلاق الزحوف يحمل للنـاس   فـداء الهـادي وذود المحامـي
نشـوة ام صبابـة عصفت بـي   بعدما عصفـت صبوتـي ومدامي
ام ربى (الطائف) الحفى تناديني ، على الرحـب فـي حمى وذمـام

ثم سارت تريـد (مكـة) يا شو   ق تمهل هـا انت فـي الاحـرام
قـد دعاك (الميقـات) فاستقبـل البيـت وكبـر لمشـرق الاسـلام
انت فـي فيض نشـوة تتسامى   بك فـوق الخيـال والاحـلام
من هنـا طلعـة السنى للدياجي   من هنا رفرف الهـدى للانـام
مكـة هـذه ، ربـى وبطـاحـا   و (منـى) و(الحجون) يا انغامي
انشدي الذكريـات لحن اشتياق   ظل يشكـو النوى علـى الايـام
هـي لقيـا التراث يختـال بالبا   س ويـزهو بفـارس وحسـام

هي لقيا التنزيل ابدع دنيا   كللتها السماء بالانعام
انه (البيت) والطواف فيا ما   ضي عشاري محا الطواف اثامي
رفعته (الصفا) واسبغت (المر   وة) ثوبين من رضا واعتصام

وتلفت ، والخيال عيوني   وحنين المولـه المستهام
فلمحت (المعلقات) تجر الـ   ذيل ، تيها على ذرى الاصنام
ورأيت التنزيل وفق ضياء   عانقته الارواح فيض سلام
و (قصي) و (عبد شمس)حيالي   و (علي) زوج البتول امامي
وورائي (امية بن ابي الصلت)   على وجهه ظلال قتام
ذهبت عنه ، يا لجد عثور   فابك يا شعر خادع الاوهام
والى المصطفى تطلع قلبي   يا خشوعي يا نشوتي يا هيامي

اوما الفجر يا رفيقي ، قد حا   ن الى (يثرب) انعطاف الزمام
انتما تدريان من عطر الدر   ب اليها ، والليل غضبان دامي
وقريش تربص واعتزام   و (حراء) على لقاء ظامي
جاءها العابد الذي كان يلقا   ها وحيدا ، لسجدة وقيام
ويناجي رب السماء ويدعو   ه لطمس الانصاب والازلام
عاد مستصحبا رفيقا حفيا   فيه سيماء مهتد مقدام
اي سر في ذروة لفها الليـ   ـل بشوب من ظلمة الابهام
جل امر ترومه يا ابن عبد الله يا   خير نازع لمرام

يا غطاريف (يثرب) انتم الاعما   م ، اذ ضاق منزل الاعمام
قد اتاكم محمد فدعوا القصـ   ـواء تختار رحبكم للمقام
يا غطاريف (يثرب) انتم الانـ   ـصار ، نعت عنوان مجد جسام
قد بلغتم ما لم تكن تبلغ العر   ب ، فطوبى لكم ملاذ مضام
لكم الفخر ، لا يدانيه فخر   وكثير فخارهم لاتهام
النبي الهادي لديكم ، وافذا   ذ قريش ومسجد الالهام
وغدا تلتقي السيوف على (بدر)   وانتم من نصرها في السنام

ايها المسجد المبارك انـي   جئت والحب قائدي وامامي
وعلى اسم للرحمن قبل من (طه)   جبيني مواطىء الاقدام
وتسترت بالخشوع احتشاما   في مقام الاجلال والاكرام
وتقربت بالدعاء من المحرا   ب اسقي ذوب العيون اوامي
وحيال الضريح ، يا شعر ما حا   لي حيال الضريح ، هل من كلام
انا يا شعر في اسارين نجوى   ملكتني ، وذارفات هوامي
وتعالى التكبير ، ترفعه التقو   ى خضوعا للواحد العلام
نغم ترسل السماء له الانسام   كيما يسري مع الانسام
هو شدو الحياة ذود الخطايا   نفحة الشوق بلسم الآلام
هاك يا رمل جبهتي لاناجي   عدد الرمل غافر الآثام

بغداد   نعمان ماهر الكنعاني



انطون قازان

انطـون قـازان

في كتبه الثلاثة وذكراه

بقلم فوزي سـابا

* * *

عائد مثلما الفصول توالت   تجتلي في مدى الفصول حياته
هو والدهر مـا تشاء الليالي   جهل المنتهى لاي نباته

البارحة سهرت مع انطون قازان . الصوت ، النبرة ، الدفء ، الاسترسال ، الوقفة ، التركيز والانطلاق . كما في جلساته ، كما في وقفاته على المنابر ، يتحدث فكأنه الصاغي ، ويصغي فهو المحدث . سهرت معه البارحة ، بين المنابر ومكتبه الى مقهى الحمراء ، الى داره وداري ، الى الزوايا الهادئة في الاندية الرصينة . « تمنيت لو يخطىء واحببت لو يسيء ، ورحت احث الصعوبة عليه عساها من اعداله فينكفىء ، ويتاح لي ان اقول فيه غير الحب والاعجاب » . على المشارف الملوحة جالسته الليلة ، ما القامات الطوال والرماح ، ما الاعلام الخافقة وما الاعمدة . كما يتكامل الشموخ كما يتهيأ الزهو ، كما يتضوع العبير ، كما تسجد السماء في ليلة قدر ، جالسته البارحة . تناهي في الرقة لكانه على سماع :

الله يا سكب النداوة   من شآبيب السحر
تدله في الوجد ، فعتاب على توبة :

ملتك مثلما الدنيا تمل   وتعب مقلة وينوء ظل
نعيمك خطرة عبرت مداها   وحسنك يشتهي منه الاقل

البارحة عاد الي انطون قازان وجالسته واستمعت اليه والمنشدة الطروب ، تلك الليلة العنبرية تنشد « يا جارة الوادي » وانطون مل الرواء ، والشفاه تلاحم صبابات والمسرى كأنما له جلجلة ، والترخيم واللحن والصفاء ، اعرى من نقاء البررة .

« وتعطلت لغة الكلام » وراحت تتهادى بها كمن يجوس النار المقدسة . على تعاسة الانتظار .. دعيها لي ولا تعطليها .. وتعاد وتعاد ، وانطون يدعيها له ... ان فيه اكثر من تقويم ، وعلى مداه ابعد من المدى .

البارحة جالسته واستمعت اليه ، وطال بنا السمر استعاضة عن السنة التي هجرنا بها ، اليس لبنان بلد هجرة ، وهؤلاء ابناؤه عودتهم كانت محتمة ، فتحتم عليهم عدمها ، وبقوا على مجالسنا كما انهم لم يهاجروا .

ثلاثة كتب ، موسومة باسم انطون قازان ، جالستني طيلة ليلي البارحة ، ذهبت بالقول ان لبنان يعيش اليوم بدون انطون قازان . الشعر على قلته ، ينهد تماما كما عرفنا انطون في جميع اعماله ، يبدأ برعما ثم يفتر ، ثوابه انه ابتعد عن الثواب ، فبقي له المدى على انفتاح . شعره ، لا ليس كما تقرع الاجراس ، ولا الذي له على الاوداء رجع ربـاب . الجمال لديه ، ان لا تصل اليه انملة ، فقد تحفر على ملاسته ملامس تروح عنه بالعين التي هي انطون قازان .

ثلاثة كتب ، على ما فيها من بهر ونداءات ، وسمق وشموخ ودعاءات ، واكتمال فني ، طباعة واخراجا ، والنزع بالنفوس حتى اجلاسها مع مفاتن العصر وغـامز الاعصر ، لم تأخذ من انطون قازان الا بعض الصفات ، فانت متى جالسته وحتى على كتبه ، يأخذك منه كما الوله في مجالس الانس ويشملك رخاء ، حتى اذا هممت بما في القشوة من متاع تناهدت الصدور . ثلاثة كتب ، تخط على المراوح ، فأعطاف تلف ، وملاحات تطبع والصبابات ولا ما طرزت ولادة ووشت :

انـا والله اصلح للمعالي   وامشي مشيتي واتيه تيها
امكن عـاشقي من صحن خدي   وامنح قبلتي من يشتهيها

كما الصبا حضوره وجد ، وغيابه وجد ، والنفوس عليه متى حضر ، وعلى اثره متى غاب :

تنهب الدر من ثغور العذارى   وتسميه فاعلاتن مفاعل

ويبقى ثقب اللؤلؤ صناعة ، متى الجوهري على ابداع فشعل تتكوكب ، والرونق مفاتن ، ثم انهمار فيه يتلاحق السكب .

يـا ديمة الاطيـاب اي خميلة   اشهى لعطرك من ربى تتخطر
بيضـاء من شوق الغمام لدلها   حتى اذا غلب الهوى تخضوضر

وقد سمح انطون فاخضوضر ، وما يبس له عود ،

وطالما كان الزبيع على زقزقة فكيف وفي هذه الكتب عصائب وجدائل الحان ، تنشر وتطوى ، فالبهاء في نشرها وطيها، اما الروعة فعلى الانامل التي ابتدعت لها هذا الرواء. في فؤاد سليمان قال انطون : « فؤاد سليمان ، حسبك اننا لشهامات عمرك بتنا نؤثر العمر القصير ». المداجاة والمغالاة وجودهما حيث لا وجود للجمال ، وكاشف قشوته لا يكون الا مع الجمال . انطون قازان عنى ما قاله في فؤاد سليمان وقد يكون مقدرا انه سعى اليه .

الا يجوز ان يكون من وراء شفافيته هذه قد ملس ، ففي الادب كما في الحياة تتشابه المسالك وتتشابك ، والفارق الذي يرفع اديبا على اديب وكائنا على كائن هو اقتدار هذا الاديب او الكائن للانصهار في ادبه او في غيره من الكائنين.

فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

هذا يعني التجرد التام من ــ الانا ــ حتى تتحول الى ــ نحن ــ الشاملة التي تنتقل بالاقتدار من عقلانية التكيف الى عقلانية التحدي فيتخلص الكائن من علائق الواقعية الى ايجاد واقعية جديدة ، ولولا هذا التجرد التام ، والتحدي العقلاني لما كان ابداع .

متى نحن على كبير يتواجب ان نرى اليه من هذين المنفذين وفي الابعد الابعد نرى الى اي مدى تمازجا في اجتماعهما ، حتى اذا لامس الخط اخاه الخط جريا على قول امين نخله ، يا واضع الخط على الخط ــ كان له السمقة الشارقة ، فتكامل واستمرار متصاعد ، كما يتكون الضوء غسقا ثم فجرا وصباحا ، فمع انطون قازان لا نوافذ ولا ابواب للانحدار انه كما العبق متى انفضت عن قواريره الاختام فمن يسأل عن النواحي. جيوب عطار ، ان قلت ناردين فانت عليه ، او ياسمين اخذك الناسم الناعم ، او قلت وقلت فكل المداهن على راحتيك حتى يشملك منها كما الوله ، كما الوجد كما الضنى فانت على أبعد مما عناه الشاعر :

ودبت في مفاصلهم دبيب البرء في السقم

ثلاثة كتب ؟ فقلت لها يا هند هذا الذي بقي . . .؟ لا هذا ولا ما في صناديق الكتب التي اشار اليها امين الريحاني في « قلب لبنان » وهو على خير الله خيرالله، انها كما جاء على لسان انطون في تقديمه لامين نخله :

« ادباء اليواقيت هؤلاء طوافهم في الدنيا لا ينتهي ، فالياقوتة اخلد من عاصمة ، وحتى من حضارة ، كما يقول على حق صاحب « متنوعات » تعادل الجمال على يديه حتى غدا سرا من اسرار البلاغات العلى » . . .

اعود الى الليلة التي اعادت انطون قازان الي ، أعود الى كتبه التي حملت منه العبق . كما نهد انطون قازان في شعره ، برعما برعما ثم تفتيقا لاكمام ، لادبه جناء وقطاف ، فهذا المارد تحدى فلاسفة العصر ، وكان له تركيز اعلامه على القمم ، وعلى اقتدار ذهب بما قرره

الفيلسوف بان مبتغاه في الحياة هو الافساد ، اي القبح، فاثبت انطون ان الجمال هو المبتغى والطابع لكل جيل وعصر .

رواحه الى الجمال مؤصل ، لم يكتسبه ، ولم يلقن به ، حتى في حاجاته اليومية تناوله كما يتناول العباقرة روائعهم ، فمن اراد العودة الى انطون عليه ان يكون على مجالسه ولكم حمني اشتهاء وانا استمع اليه يتحدث عن الياس ابو شبكة . معي هو كما كان الياس ابو شبكه معه، انما ابن انا منه ، انه يلتهم الحرف وكضارب العود ــ يدوزنه ــ يسلسل اللحن ومتى السماع يتغرب الى المعنى الى القصد ، وقد يطول به الاغتراب وطالما علل غربته بانه لم يبلغ بعد القصد ، بينما يكون السامعون قد ارتووا من مقاصدهم وعادوا . .

كتب ثلاثة ، يتهيأ فيها انطون قازان كما على ندوة ، فانت معه حتى وان لم تعرفه ، لكانما انت على محترف رسام من اعماله المادونا . اعماله ليست رسوما ، انها روائع : الياس ابو شبكة ، بشارة الخوري الاخطل الصغير شبلي ملاط وحتى الذين اسماؤهم لم تعلن بعد تكاد الانمل تتلاسن مع العين على براعة انطون قازان ، واروع الروائع ، تكوين ، والكائن غائب عن وجوده .

الادب عند انطون قازان جمالي ، واي كائن ليست له ناحية جمالية ، والصناع العبقري هو الذي يرى الى هذه الناحية ويكون المجهر الذي يظهرها للعين التي ترى ولا تبصر . انطون قازان هو هذا الناظر والناطق بالالسن التي تستطيع النطق ولا تقدر عليه . اتخايله في نهم الارتشاف سارية عليها علم القيادة لاسطول صوري او قرطاجي ، يخفق ويبقى للمدى لديه خفقان . اتخايله، الشفة التي نطقت بالحرف الاول من شاطئنا فاستلمها العالم :

سمعته موجة فانحدرت تقرا الحرف على مر الزمان

لرواحه الزاهي والعمر ورد ، فتق الورد والنار دين على يديه وساح بهما الى ساحات الملوك منقيا اياها الا من الجوهر .. اختار الامام الاوزاعي ، امام الرحمة فاكمال لمسراه : يقول : ــ « الاوزاعي ، صديق الانسانية هذا يسقط امامه كل سلاح ، فبعده لا يحق الانتقام ولا الظلم ، ولا المحاربة ، بل اشاعة سماح ولبنانية تعاليم، ومتى تعرفت اليه احتل حديثك ولحظاتك فلا يمكنك ان تنعتق منه ، ولكم يطيب وانت في هذا الواقع المشحون ان تعود الى بضع مئات من السنين لتصبح بهذا الصفاء العبقري، وهذه القداسة الساطعة ، فلا مرور زمن على الاولياء، انهم في ثبات الحق على العيون ، وفي احتلال القلوب بمسوغات . الامام الاوزاعي ، هذا اللبناني العظيم يتقادم بهناء فله بسطة على الايام وله انشراح . لقد خرج في التقويم عن المزاد وتعاقد والاجيال فلا انتهاء .»

ومشى مع المراة : « كان يغريني ان اتحدث عن

المرأة كمخلوق جمالي له علينا مودات الهوى ، او كأم بسط لها على السماء جناح ، او كجبارة حملتها الاساطير مجد بنيان بابل وتعليق الجنان ، او ملهمة لا يعبر الى العبقرية الا على هواتف نجواها .. »

وقد لا يكون حضاريا ما جاء به في حديثه عن المرأة على ان ضناه منها ، حقق مقدمته فيها :

غرست يدي وجنى الورود سوايا فجنت على قلبي الجريح يدايا
غامت عيوني في هواك ولم تبح يوما تأسرار الهوى شفتايا

ثلاثة كتب ، اساطير الجمال ، اية البحار حلمت بان تثقب لؤلؤها انامل مبدع كانطون . الاجراس التي قال عنها فؤاد حبيش والسحر في معاقل الذوق عندما تحدث عن « ابو شبكه » هي بعض البخور السائح على الستائر المسحورة في هياكل انطون الجمالية :

نحن الالى ما همنا طول الحياة ام القصر
حسب الحياة رحابه ان نستجاب وتختصر

وعلى هذا ـ القصر ـ كان لانطون قازان من الطيب ما بعضه يغري القائمين على الجنان . ما اللون الذي شمل شعر انطون ، وما النهج في ادبه ؟ هذا رجل مد الشمس يدا ، وترك الثانية لاصحاب الالوان والمناهج . كما قضيب الصاعقة خاف عليهم الرعدة فحصنهم بيمناه ، عل ما فيه من اشعاع قد يصيبهم ، وكم تيار كهربائي اعاد الى المسام المائتة حيويتها . نحن لسنا على هذا ، انها خطرات سوالف كما الذكريات تحم وتفرح ، وهل اهتم انطون حتى في جحيم الهموم الا لانقلاب الجمال من اطارته الموصلة .

المقدمات الاربع ، لها ابعد مما جاء به الشاعر :

وهي كالوشي من ثياب عروس جليته التجار من صنعاء

انما متى العروس لا عروس لها ، تبقى عذراء مفردة ، هذه الكتب الثلاثة كل حرف فيها من هذه العرائس .

عندما تحدث النقاد عن ابن المقفع وخدنه قالوا هذا غلب عقله على علمه ، وذلك غلب علمه على عقله ، مع انطون قازان ، لا غلبة للواحد على الاخر ، بل فرسا رهان ، فالعلم على يديه ادب والادب علم ، وانها لاكثر من ظاهرة في عصر غلبت المادة على كل اشيائه .. « ان شعبا ضرب العبوس عليه لشعب ولا رجية ، وان امة تفاكهت ارق الله حسنها وداوى بالالطف آفاقها وبلغها ما في نفسها » . انطون قازان هو المثال لهذه الحقيقة فالنكتة على يديه لها العلم ولها العقل ، واللفظة لها عنده علم خاص بها ، ولئن قيل على سبيل الاسترسال ان فلانا يأتي بالكلمة من البداوة فيحضرها ، وما لنا وللذي يتناولها للبننه ، فان انطون كيمائي له المحلل الذي متى عصت المواد على سواه ان تتمازج اصدرها مادة اولية ، لهذا فالسؤال عن النهج واللون في ادبه كما السؤال عن الابريز واولياته .

ايقولون قديم ويحهم من يقل الشمس هانت معدنا

تمرس بالمحصنات ، وعلى الاسوار الشاهقة ارتفعت اعلامه ، فالحاجة الى التبويق سبيل سواه ، اما معه ، فأي اللون من اعلامه اكتفاء القادرين عن تهاليل النصر . الكلمة لم يحضرها ، ولا جرى معها على انها تحضر او تلبنن او او .. الكلمة حياة ، خلها امراة ، الا يجوز فيها القول ؟

انما المراة مراة بها كل ما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا أفسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

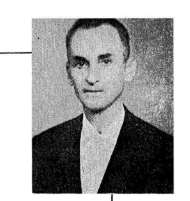
فما تغربت كلمة مثلها على يراعة انطون قازان مع بقائها بين اهلها ، ذلك انه لشفافيته حلاها وجملها وزينها وكساها ، حتى ابعدها عن الواقع التي عرفت به ،والروعة انه اعاد اليها اصولها ومنابتها ومدلولها فاغترابها معه مسرى الرواد لارجاع المجهول الى المعلوم .

عندما اصدر بودلير ـ ازهار الشر ـ قيل فيه شيطان دخل الاقداس فنجسها ، وغير نظما وقلب ميازين : غنى الموت كما لم يغن سواه الحياة ، وناجى البشاعة بما لم تناج به رائعات الجمال . ويتزاحم العصر للاخذ بنهج هذا الشيطان ، فيكون ادكار الن بو ، واوسكار وايلد ، وكانت النهضة الرومنسية التي اجتاحت العالم واعطت وما تزال . انطون قازان دخل الاقداس مطهرا لها من الرجس الذي قيل ان بودلير واتباعه دنسوه وحولوه الى مذابح يوقد عليها الخطاة شموعهم ، فاقام من الكلمة قواعد للجمال ، ولما على هذه المنصات الرفيعة ، عاد الى السفوح حتى اذا حظي بافترار زهرة او قطرة ندى جمع بهما مع المنصات التي اجلس الكلمة عليها ، ليكون شأنه مع الجمال شأنه مع العلم ...

ماذا في ادب انطون قازان ، وما هو نهجه ؟ وددت لو ان كتبه الثلاثة لم تنشر فيبقى للسائلين بعض العذر ، وان كانوا لا عذر لهم ، فالذي ضم في عالمه عوالم ، اناقة ، فنا ، ادبا ، شعرا ، علما وشرائع ، لا يسأل عن نهجه . عندما تتهادى الحان شبابه فتترنح على انهيار القمم وتغنج لها الاوداء ، هل سأل ضاربها نفسه ، او هل مر على خاطره نهج ايقاع ، او يظن ان الفواغي والندى وجد وتوق تصرف اليه عبقا دون عبق ، او ان اليواقيت ، والضحى رهج تستحب جفنة دون سواها من الزهر . او ان البلابل ، وقد جلت الحانها على رمانة كانت قد خمرتها في الليالي المقمرة ، تخصها دون سواها بالتجويد الملحن الغنوج .نهج انطون قازان ، نهج هؤلاء ، وله عليهم ابعاد لا يدركونها ، فمهما وسعت القوارير فانها متى انفضت تفرغ ومعها الاثر ، اما الكتاب فكما الجمال كلما تناولته العيون ملس .

ثلاثة كتب ، هي لا تقرأ ، تؤخذ ، يصغى اليها فانطون يتحدث ، وينظر اليها ، فانطون ملء السمع والبصر ، ما تحدث عن نفسه ، ولا في اية سانحة ، كل احاديثه عن الاخرين كبارا كانوا ام صغارا ، فهم على يديه روائع ، وعلى هذا فالآخذ بهذه الكتب الثلاثة لا يرى غير انطون قازان .

انها الاناشيد التي تحللت على الشفاه المؤمنة ابتهالات ... هكذا عاش انطون قازان مع اليراعة والطرس . فلا



الصورة المنسية

الى الذي اهديته صورتي رمزا ـ فـــأهداني تجاهله لغزا

قلت : أهديه صورتي عنـــوانـا   لـوداد نحيـــاه أو يحيـانا
في مكـــان من الجمـــال قريب   قبل ان يبعـد الجمـال مكـانـا
في زمـــان من الشبــاب أنيق   قبل أن ينقضـي الشباب زمـانا
في بيـــان من الرمــوز يسـير   قبل أن تصعـب الرمـوز بيانـا
أنا فرع ـ والرسم اصيل مقيـم   انـا سجن قد حرر السجـــانا
ريشـــة الطير منـه صورة طير   فهي تحـوي من فنــه الطيرانـا
ان طـيرا في عشــه يتغنـى   قـال : أهـديت صورتي الافنانا
ذلك العش قيد روح طليـــق   جمـع الكـون : رقـــة وحنانا
قلـت : أمضـي اليــه في ملكوت   خالـد الذكر حـين يبلى كـلانا
مثل زهـر يقـول للخد : اني   قبلة الحـب : تحمل الاشجانا
مثل نجم يقول للفـجر : انـي   من شعـــاع اذا الشعاع تـوانى
قلت : أهديـه صورتي فهي وزن   من شعـور يستلهـم الاوزانـــا
نحن ؟ ما نحن بعد حـين ؟ ألسنا   صورا تستعـاد او الـــوانـا
قلت : أهدي الخلود لست ضنينا   .. فكساها الاهمـال والنسيانا
حالم انت . حـين تنكر طيفـــا   ذلك الطيـف يـوقظ الوسنانـا
ظالم أنت في الاخـــاء مضيـع   حين تنسى في صورة خفقـــانا
ان سر الاطيـاف ان تتـــلاقى   ان ســر الاضـواء ان تتـدانى
ان لونـــا من الحقيقـــة بـاق   ومضـات في الجـو او الحانـا
صـورتي قبلـة ترن وشـــوق   لا يمـل الجمـال والايمـانـا

طرابلس ـ لبنان

سليم الرافعي

يرى أليه الا محبا ضاق المدى عن حبه ، فكل اعمالـــه ارتيادات لمدى اوسع . وبعد فاني لا اجد قولا يصح فيه ـ اذا صح اي قول في مبدع كأنطون ـ مثل قوله فـــي تقديم امين نخله : « لا لاقدمه ، بل لاقصيكم عنه لحظات في الحاح ميعاده ، وحسبي ثوابا رضى العريقيين فـــي المتعة . انها لعبة ترف في الشوق ، وليست مقدمة .اخاف حزنا بعد ساعة ، فما انعم الا يبدأ » .

وهل امرنا مع انطون قازان الا ـ هذه اللعبة المترفة في الشوق ؟

يـورف الظـل حيث تندى سماء   آيـة الشعر وحيه فـــاداتـــه
ومضـــوا يقتفـون اثر يـــراع   يعلـم الله كيف تسقـــى دواته
هكذا الشاعر الاصيـــل صنـــاع   خفيـت كفـــه لتظهر ذاتـــــه

فوزي سابـــا

عزيز اباظه

١٨٩٨ – ١٩٧٣

عامر محمد بحيري

★ ★ ★

قف في ربى الخلد .. واقطف من ازاهره … واستلهم الشعر .. من الحان شاعره
وانظم من النسق الاعلى مديحته … فما يساميه .. الا وحي خاطره
وهل يطاوله في مجده أحد … من طاول النجم في عليا مقاصره
يمشي كآدم .. في مرفوع هامته … بمشرق الوجه في الفردوس ناضره
يلقي على الكون من اعلاه نظرته … كما تملى قديماً من مناظره
مسافر نهضات الشرق حافزه … اذا تنقل يوماً في حواضره
فوق السحائب لا تنفك رحلته … على النجائب من ميمون طائره
من مهرجان تسامى في اكابره … لمهرجان تجلى في منابره
موفق القول ، محشود له ، ثقة … « وليس قولك من هذا .. بضائره » .
وما له من نظير في تفرده … ان العزيز عزيز .. في نظائره

الشعر بعد عزيز .. لا امير له … كما جرى بعد شوقي طوع آمره
وكيف ينشد لحنا وهو مبتهج … اذا الحوادث شقت من مرائره
تجهم الروض لا ظل ولا شجر … واجهش الفض من اجهاش طائره
فلا الهزار طروب في خمائله … ولا الاغاريد نشوى من عصافره
والليل يرعى السواقي وهي باكية … من النحيب على انات حائره
هل يعلم الليل من اخفت دجنته … وغيبته ظلال من ستائره
هل يعلم الصبح من كانت مهلته … كفاء شمس الضحى تبدو لناظره
هل يعلم الشعر في دامي معاركه … من ذاد عنه بماضي السيف باتره
هل تعلم اللغة الفصحى وما وسعت … معاجم اللفظ فيها من ذخائره
من الذي سلك الالفاظ مسلكها … وزان عقد القوافي من جواهره
مشيع الخالدين اليوم شيعه … الى الخلود .. جليل من مآثره ..
نفس تسامت ، وقلب نبضه ذهب … وعى الزمان ، بماضيه ، وحاضره

يا مصر ، يا زهرة التاريخ يانعة … اذا رجعنا الى ازهى مصادره

ويا عروبة بالاسلام زاهية ... والوحي ينهل نورا من منائره
يا درة الشرق والآيات بينة ... هداية الكون تجلو من بصائره
مرت عصور زهت فيها حضارته ... وانشد الشعر من الحان سامره
هذا كتاب « الاغاني » في روائعه ... لكل عصر مثيل من معاصره
ان كان شوقي بنى بالامس مسرحه ... على رخيم ، قشيب اللحن ، زاهره
فقد اقام عزيز من دعائمه ... من وحي لبناه ، او من سيف ناصره
تتابعت درر ، من بعدها درر ... لكل عقد سني من مفاخره

سقيا لعشرة اعوام نعمت بها ... ورائد الشعر يملي من محاضره
في مجلس جمع الافذاذ غالية ... كالعقد ينظم درا من عباقره
والمهرجان تغني فيه قافية ... من شاعريه ، واخرى من شواعره
ما سار من بلد الا الى بلد ... للشعر روح تقوى من اواصره
وكيف انسى له من صحبة سلفت ... وطير غزة يشكو ظلم آسره
وفي فلسطين اسلاك قد ارتفعت ... تصد راعي قوم عن حظائره
فيا له موطنا للعرب مقتطعا ... عنهم ، يثير الاسى في قلب زائره
يحاول الشعر تصويرا لنكبته ... حتى يرى الغاب يلقى من كواسره

لم يشتك الشعب الا بطش ظالمه ... ولا ترقب الا عدل ثائره
ولا طغت لجج للحق هادرة ... الا لمحو عتي الظلم ، جائره
تقدمت فرق الابطال غالبة ... والجيش الفى عديدا من معابره
بشرى العروبة عهد لا نظير له ... روح البطولة فجر من بشائره
ونفخة البوق تغزو الكون موقظة ... كالبحر يلقي بعالي اللج هادره
لم يبق للشعر من سحر يطوف به ... عصا المحارب .. فاقت وهم ساحره

دعوا الازاهير تمضي في تفتحها ... واسقوا الربيع بفيض من مواطره
ونسقوا الورد في البستان مائسة ... اعواده في قشيب من مخاضره
لا تجعلوا سنة التقدير بينكم ... ((أقتله بالصمت))و((اطعن في خواصره))
ان المنية كاس سوف ينهلها ... مجدد .. وقديم في خواطره

في الربعماية .. قبر ضاء مشرقه ... كم يقبس الدهر نورا من مقابره
من النبيين ، والاشراف .. ما برحوا ... يهدونه بزكي المسك ، عاطره
مضى اليهم عزيز في مناقبه ... فكان في الركب صدرا من اكابره
ثاو .. الى يوم يلقاه احبته ... واول الركب موصول بآخره

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

ابنة اخي . الا تعرفها ؟

انها « ابلط » شخصية فيالجالية ، ولولا الحياء من ابيها لقلت انـــها « ابلط » شخصية في الارجنتين . ولو وسعت الرقعة قليلا واكـــدت انها « ابلط » سخصية في اميركا الجنوبية لما كنت مبالغا . وحسبك من « بلاطتها » اننا في الدار اربعة اشخاص ، تزيد اعمارنا مجموعةعن مائة وخمسين عاما وهي لم تبلـــغ الرابعة من سنيها بعد ، وتكادتتغلب علينا وحدها في جميع المعارك الـتي تجري بيننا وبينها . والمعارك بيننا وبينها تظل قائمة على قدم وساق. وقد انشأنا في البيت رابطة للاسعاف المتبادل ضدها ، تعهدنا فيها بـان ينجد احدنا الاخر عندما يداهمنـا منها الخطر . ولا يحزنني شيءكرؤية خالتها — وهي اكبر سنا من امها — راكضة نحونا تستغيث والصغيرة — هكذا نسميها — راكضة خلفها تسبها وتشتمها وتغلظ لها القول وتهددهـا متوعدة .

وهل تعلم ما هي « البلاطة »؟

انها كلمة عامية لن تجدها فـي القواميس وتعني هذه الامور المزعجة التي يأتيها الطفل فتضحك لهــا وانت مسرور ، لصدورها عن براءة قلب وسلامة نية .

ابنة اخي — وانا كما قال الشاعر: مثل اولادي اولاد الشقـــيق — لا تستطيع ان تلبث هنيهة هادئـــة وقد تعودنا على حركتها الدائمة. فاذا رأيناها هادئة — ولو خمس ثواني — حسبنا للامر الف حساب ، واسرعنا نستدعي الطبيب لفحصها .

فان سألتني وماذا تفعل ؟ اجبتك بكشف طويل هذا بعض ما فيه :

تصعد على المائدة
تفتح الثلاجة
تحرك ازرار الراديو
تتناول سماعة الهاتف
تشعل الغاز
تطفيء النور
تحمل السرير
تلف السجادة
تدلق آنية الحبر
تحطم زجاج النافذة
تعطل قفل لباب
الى آخر ما هنالك

ابغض شيء على قلبها الحليب. نجتمع، كل يــوم ، اربعتنا — لعلنا نستطيـــع ان نسقيهـــا كأســا منه فنغريها باللعب الجديدةالعديدة ثم تمر ساعة واذا الكأس لا تـــزال كما هي ، وقد اصبحت في الآونـة الأخيرة تدعي ان الحليب يؤذيها فما تتجرع منه ملعقة حتى تمسك امعاءها او راسها او رجلها وتصرخ متظاهرة بالوجع فنتركها ، فتضحك ، فنعود الى الحليب فتعود الى التظاهـــر بالوجع .



بقلم الياس قنصل

تطرب للحكايات ولا تمل منهـا : تقص عليها الحكاية فاذا انتهيتمنها طلبت منك ان تبدأ من جديد وهكذا الى ان تعاف روحك . آخر حكايـة سردتها على مسامعها مائة وعشريـن مرة في امسية واحدة . وانـــت لا تستطيع ان تغير من الحكاية حرفـا في الدورة الثانية او التي تليها . فاذا كان بطل القصة — مثلا — كلبـــا ابيض وقلت لها في المرة الرابـعة ان بطل القصة كلب اسود ، ردتك الـى الصواب ، وحتمت عليك ان تتقيـد بالنص الاول .

قصة

ومن حسناتها او من سيئاتـــها — لا ادري — ان لها ذاكرة عجيبـة غريبة كأنها آلة تصوير « كـوداك » تلتقط سائر ما تشهده . واصبـح من عادتي ان اكتب الحكاية قبل ان ارويها حتى اذا طلبتها مني بعد مدة عدت الى الورقة فطالعتها لئلا اغلط في بعض وقائعها .

ومن ادلة ذاكرتها الخارقة انها حين كان عمرها ستة اشهر حملتها، وككل الاعمام المجانين وكل الابـاء الحمقى رحت اكلمها كأنها تفهم علي ووعدتها بان اشتري لها فسطانــا ازرق اللون منمنم الحاشية حيـث يغدو عمرها ثلاث سنوات .

ومرت الاشهر . وبلغت عامــها الثالث . فجاءتني صباحا ، وقالت لي :

— والفسطان الازرق المنمنم ؟

وكنت قد نسيت القضيـــة ، فسألتها : — اي فسطان ؟

قالت : — الفسطان الذي وعدتني به منذ سنتين ونصف السنة .

فحاولت ان اتجاهل الامر، فقالت لـــي :

— اذا كان وعدك السابق ضحكا علي فقد كبرت ولم يعد في وسعـك ان تسخر مني واذا كنت تتبالــه الان ، فعنـدي دواء يعيـدك الـى الصراط السوي . .

ثم تحولت الى الردهة وفي يدها عصا غليظة .

ووقفت مذعورا ، ولم تتركني حتى اشتريت لها ما وعدتها بـــه.

وهي دقيقة الملاحظة الى درجـة لا يتصورهـا العقل . اذا ســقط من قميصي زر كانت اول من تنتبه له . واذا غيرنا مكان مقعد ولو قيد شعرة ، سألت عن غايتنا من هــذا التغيير .

تلفظ سائر الحروف اتم اللفـظ واحسنه ما عدا حرف « الراء » فهي تقلبه « غينا » وقد ضبطناها عـدة مرات تتمرن على لفظه صحيحاوهي تتحاشى الكلمات التي فيها راء.

بدلا من ان تقول « سكر » تقول حلو . وبدلا من صغير ضئيل. وبدلا من دار بيت . وهكذا لانها تعرفاننا نهزأ بها حين لا تتمكن من لفظ الراء، كما تعرف ان هذا الحرف هو نقطة الضعف في حياتها .

وهي رقيقة القلب رفيقة بالحيوانات : رأت مرة عند احد اصدقائنا دجاجة وحدها فحزنت عليها حزنا عميقا واجبرتنا على نقلها الى القن حيث بقية الدجاج .

وشاهدت مرة في الجريدة صورة طيارة محطمة بعد ان اصابها انفجار في الجو فراحت تبكي من صميم قلبها ولم تكف عن ذرف الدموع الا حين اقسمنا لها ان الصورة هزلية وان الجريدة فكاهية وان سقوط الطائرة هو جموح من خيال المصور ليس الا .

آخر ما فعلته حملني على تحبير هذه الكلمات : جاءت لزيارتنا نسيبة غنية ثقيلة الدم والظل ، ووضعت معطفها الثمين على السرير فما كان من الصغيرة الا ان انسلت الى المطبخ واتت بالمقص الكبير وتحولت الى المعطف وقصته سرائد وجعلت منه حبلا .

ودافعت انا عنها حين عقدنا — اهل الدار — جلسة لمحاكمتها ، وحجتي انها لا تدري ما كانت تفعل وتقدمت مني بعد ان اعلنا براءتها وكنت اظن انها ستشكرني على دفاعي وقالت لي :

— انا اعرف انك تكره هذه الزائرة وقد خلصتك منها فماذا تشتري لي؟

وهذا السؤال « ماذا تشتري لي» تكرره في النهار الف مرة، فهي مصابة بداء نسميه « ذات المشترى» كل شيء تراه تريد ان نشتري لها مثله.

ابصرت مرة في « سيرك » فيلا يرقص فراحت تلح علينا بان نشتري لها فيلا مثله ، فسألناها :

— ولكن اين نضعه وليس في الدار مكانا له ؟

فاجابت : — اذا رحلتم انتم من الدار اتسع المكان له .

ولم نر مناصا من تلبية رغبتها فاشترينا لها من احد الهنود فيلا صغيرا وزنه الف وتسعمائة كيلو فقط ،واعددنا له غرفة خاصة ولكنها لم تكن راضية لانها تريد فيلا « يرقص » لا فيلا « حاف ».

ونحن نبحث الان عن رجل يعلمه الرقص .

وبلغ من اصابتها «بذات المشترى» انها كانت في الاسبوع الماضي هي ووالدها في احدى الحافلات ، فصعد اليها رجل معه صرة كبيرة فالتفتت الى ابيها وقالت :

— لماذا لا تشتري لي صرة كهذه؟

فسألها : — اتعرفين ماذا فيها ؟

فقالت :

— كلا ولكن اشتر لي مثلها

وهي . —

عذرا ايها القارىء اني انقطع عن الكتابة واخبىء الاوراق لاني اراها قادمة الى مكتبي ، وسأتابع هذه الكلمة في فرصة اخرى . فلو عرفت الصغيرة ان هذه المقالة عنها،اجارني الله من غضبها . .

عاصمة الارجنتين **الياس قنصل**



وحيد الدين بهاء الدين

انا .. ونزار قباني

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

تتناهى بي الذكريات الى ما قبل اكثر من عشرين عاما .. الى يوم دفع الي صديق اديب مجموعة من كتب منوعة ، اشباعا لجوعي الحاد لشكول من الثقافة الجديدة ، كان بينها ديوان « سامبا » لنزار قباني .. هذا الذي لا يخطر لي ببال السبب في رفض تسلمه منه ناهيك بقراءته . ولم يكن موقف الرفض هذا هو الوحيد من نوعه يومذاك . بل كان في ما بعد حتى بالنسبة لمؤلفات ادباء معروفين وفي طليعتهم نجيب محفوظ . فقد سلطت الاضواء على هذه الظاهرة التي رافقت رحلتي الفكرية في بعض كتبي ...

وحين تسنى لي الاطلاع في عام ١٩٥٤ على قصيدة « خبز وحشيش وقمر » لنزار قباني ولاول مرة وفي افتتاحية مجلة « الآداب » البيروتية ، بهرني منحاها الجديد وتعابيرها التجريدية . وقلت في فراري : صوت يخنف وقد لا تترامى اصداؤه الى مساحة ضيقة .

على مدى الايام وجدت صديقا لي اصغر مني سنا استأثر به زهو المراهقة ، يبتاع دواوين نزار قباني ويحفظ منها ما يحلو له ثم يترنم في مناسبة او غيرها ببعض ما علق بذهنه وانا مشفق عليه من هذا الذي يكلف به ويشغل البال من اجله . غير انه كان يردد : هذه هي الحياة .. وهذا هو واقعها وطابعها ..

فانبريت له معترضا تارة ، ومغرقا في الاشفاق عليه اخرى ..

يشق عليه ذلك .. واذا به يأتيني بديواني « قالت لي السمراء » و « انت لي » لنزار قباني داعيا اباي ان القي عليهما نظرة ولو عجلى .. فاضطررت امتثالا لالحاحه ان اقراهما على رسلي .. وهل لي الا ان اعجب بجراة نزار قباني الادبية واتأمل تجاربه العنيفة واحار امام براعته الفذة في وصف مفاتن المراة والتكثيف عليها .

مهما يكن فما وجدتني انجذب نفسيا وفكريا الى هذا اللون من الشعر .. بل تركت نزار قباني ، يهيم على وجهه مستغرقا في رحلاته ... لانه كما يريد امين الريحاني (قال كلمته ومشى..) . على ان هذا كله لا يعني اني لم اعن بقصيدته « ايظن » عناية خاصة في عهد من اجمل عهود عمري .. كذلك لا يعني اني لم اتطرق الى قصيدته عن «بغداد» تحليلا وتقييما في خلال انعقاد مهرجان بغداد ــ الكندي في خريف ١٩٦٢ ، والتي يقول فيها :

عيناك يا بغداد منذ طفولتي   شمسان نائمتان في اهدابي

بعد هزيمة حزيران في عام ١٩٦٧ لفت نظري كما لفت نظر الاخرين ، تحول نزار قباني في موقفه الشعري من التصاق بقضايا المراة والجنس والجمال ، الى اهتمامات بالتعرية السياسية والادانة الفكرية والنقد الذاتي .. هذا التحول الخطير الذي تمثل في قصيدته « هوامش على دفتر النكسة » ثم قصيدة « المثلون » وما تلاهما ، كانت ردود افعاله شديدة ... عاصفة انعكست على مقالات وتساؤلات وتعقيبات ايجابية وسلية واضافة الى رد « جولة على هوامش في دفتر النكسة » لصديقنا الشاعر الكيماوي محمد حسن الصراف ، صاحب صيدلية « ابن الهيثم » بالاعظمية .

اما انا ففي الوقت الذي رحت اردد قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ..) . اوغلت في رفض نزار قباني شاعرا كما هو شأني .

وفي مؤتمر الادباء التاسع المنعقد ببغداد في نيسان ١٩٦٩ لقيت نزار قباني مصادفة حيث عرفني اليه صديقي الاديب والدبلوماسي السابق نجدت فتحي صفوت ، واذكر اني بعد تبادل كلمات المجاملة قلت له :

ــ نوهت في كتابي « من الادب العربي الحديث » بقصيدتك عن « بغداد » اود ان اقدم نسخة منه اليك ..؟

فقال :

ــ اذا تكرمت بوضع الكتاب في فندق « آشور بانيبال » الذي احل فيه فانت مشكور ... لم يرقني جوابه .. ما هكذا يكون كلام الدبلوماسي ، دع عنك الشاعر ذا الحس الرهيف .. كنزار قباني ؟! على اي اي حال هذا الذي حصل ..

وفي ليلة افتتاح مهرجان الشعر شنفنا اسماعنا واطربنا افئدتنا بشتى القصائد ، حتى اذا دب النعاس في اجفاني والليل قد انتصف قلت لصاحبي : انا ذاهب .. ؟

قال : مهلا .. لنسمع قصيدة نزار قباني ثم ننطلق معا .. كان له ما اراد . جاء دور نزار قباني .. واذا به بقامته المديدة يطاول ما يحف به .. واذا به يسيطر بالقائه المثير .. المنغم على الموقف ، منتزعا الهتافات من القلوب ، والبسمات وعبارات الاستعادة من شفاه النساء والرجال معا ، فخلتني اغير نظرتي الى الرجل ، واسكن الى هذا الذي يقرأه رويدا ، وهو يواصل تلاوة شعره ويعيد بعض ابياته ، حتى اذا ادرك قوله :

واذا اصبح المفكر بوقا　　يستوي الفكر عندها والحذاء

رأيته يسمو الى ذروة الشمول شجاعة واصالة ، ويقف فوقها داعية يحاول ان يحمل الاخرين على الايمان بما يقول وبما يريد ان يقول .. ثم اخذ يسترسل :

يصلب الانبياء من اجل رأي　　فلماذا لا يصلب الشعراء
الفدائي وحده يكتب الشعر　　وكل الذي كتبنا هراء
انه الكاتب الحقيقي للعصر　　ونحن الحجاب والاجراء
عندما تبدأ البنادق بالعزف　　تموت القصائد العصماء
ما لنا . ما لنا نلوم حزيران　　وفي الاثم كلنا شركاء

وكان البيت الاول نقطة البداية التي وثب منها صديقنا وديع فلسطين السفير في بلاط الادب المعاصر الى موضوعه الطريف «الادب والاحذية والنعال والقباقيب» من ذلك اليوم حتى الان ولما ينته على صفحات مجلتنا هذه الغراء ... « الاديب » !

بعد انتهاء قصيدة نزار قباني هم معظم المشدودين الى الكراسي بمغادرة القاعة ، لكنهم منعوا قسرا ، حتى ينتهي اخر شاعر وهو هارون هاشم رشيد من القاء قصيدته .

من هنا قال نزار قباني في كتابه « قصتي مع الشعر » « وفي قاعة الخلد في بغداد حيث انعقد مهرجان الشعر عام ١٩٦٩ ظل العراقيون حتى ساعات الصباح الاولى مزروعين في القاعة وامام اجهزة التلفزيون يتابعون القصائد بعشق يصل الى حد التصوف .. ». ما اصدقه ... فقد عشت ذلك بنفسي ، وشهدته بعيني !؟

ثم اتفق ان لقيت نزار قباني في احدى الحفلات فصافحته مهنئا بقصيدته الرائعة ، فرد علي بالحرف الواحد :

ـ انا ما نافقت !؟

اذا قلت ان مكتبتي لا تحوي ديوانا ولو واحدا لنزار قباني فلانني صادق في ما اريد . وربما كان في هذا شيء من الشذوذ الادبي ..! غير ان حبي لمطالعة كتب التراجم والسيرة الذاتية والمذكرات والاعترافات وما الى ذلك ، جعلني اقتني نسخة من كتاب « قصتي مع الشعر » لنزار قباني باختيار . وينبغي الاقرار انني مدين بقراءة هذا الكتاب الى (كورنيش) الاعظمية من جهة محلة (نجيب باشا) ، اذ كنت اقصده في كل صبيحة وقبل الدوام الرسمي ، هربا من هموم الدنيا وتلطيفا لمناخ الفكر المكدود .. وكانت القراءة تلك جامعة بين الامعان في مضمونات الكتاب ومناغاة الطبيعة عبر شاطىء دجلة الخالدة ..

قلت في ما قلت في مقال لي عن كتاب « الشريط الاسود » لصديقي الاديب عيسى الناعوري : « ان نزار قباني ، الشاعر الفنان نزع عن ذاته القشور التي طالما حجبتها عن الابصار والبصائر في كتابه « قصتي مع الشعر » ..

في معتقدي اني لم احد عن خط الواقع الذي آمنت به ، والنزاهة التي سعيت اليها بكل فكري وشعوري ... ان في هذا الكتاب اشارات مضيئة واعترافات صريحة وخصائص ايجابية ، تضع نزار قباني في موقع المسؤولية والامتياز .. « قصتي مع الشعر » .. رحلة نزار قباني الذاتية والانسانية .. الوجدانية والادبية في قطار الحياة منذ تنفس اول نسمة الى يوم الناس هذا . انظر اليه ماذا يقول : « سأحدثهم وانا متمدد على الرمل عن اخباري وعن اسفاري وعن اشعاري . سأحدثهم عن بداياتي وعن هواياتي وعن صديقاتي .. سأحدثهم عن اسرتي وعن داري وعن مدرستي وعن الخلفية العائلية والاجتماعية والثقافية التي تقف وراء شعري . سأحدثهم عمن رموني بالورد وعمن رموني بالحجارة . عمن عانقوني ومن صلبوني ... سأحدثهم عن القصائد التي صنعت مجدي وعن القصائد التي حملت حتفي .. سأحدثهم عن اصدقائي وعن اعدائي . عمن نثروا في طريقي الزنابق ومن رفعوا في وجهي البنادق .. » .

نزار قباني الذي عرفه القراء العرب في كل اقطارهم وامصارهم صريحا غير هياب يأبى الزيف والزلفى ليس بغريب ان يظهر كتابه « قصتي مع الشعر » صورة بكل انوارها وظلالها ، نابضة بالصدق الواقعي ، وهل ثمة صورة او لوحة اصدق من ان يرسمها الانسان لنفسه بريشته ولاسيما اذا كان من طراز قباني . ها هو ذا يصرح : « اما انا فهذا دفتر مذكراتي سجلت فيه كل تفاصيل رحلتي في غابات الشعر . ولاني لا اريد ان ادخل غرفة العمليات واسلم جسدي الى مباضع الناقدين . قررت ان اظهر على المسرح بشكلي الطبيعي ووجهي الطبيعي واتوجه الى الجمهور مباشرة بغير وسطاء واعلانات حائط وشباك تذاكر .. »

لقد علمت التجارب نزار قباني ان الادب ليس ميسورا تعاطيه لكل من هب ودب ، لانه « ليس زهرة نشكها في عروة سترتنا ولا نزهة في ضوء القمر » ... هذا حق ؟ فالادب له دوره في حياة المفكر الواعي لانجاز مهمات تناط به ولا يجوز التفريط فيها ، بل يعد التخلي عنها مروقا عن جادة الامانة والاخلاقية لذا قال : « الادب جزية وضريبة ومشي مستمر على سطح من الكبريت الساخن » .

واذا اكد نزار قباني على عراقة امته الشعرية ونسف بشدة ذلك المنطق المزعوم : ان الشعر لعنة العرب رجعت

بهم القهقري وحالت دون اللحاق بقوافل سبقتهم في مضمار الحضارة ، فلانه يرى ــ وما احكم ما يرى ــ ان « الخطيئة ليست خطيئة الشعر ولكنها خطيئة من يكتبونه ... » .

ثم ان نزار قباني لا يعرف الانتماء في مذهبه الشعري بل لا يرى الى مثل هذا الانتماء سبيلا لايمانه بحرية الفكر والتفكير ورفضه التبعية والانحياز . من هنا كانت له رؤياه الخاصة الى كل قضية وحدث ، ونظريته الذاتية في الافصاح عن ما تجيش به عواطفه وخواطره ، جاعلاالانسان وحده مداره ومجاله . اليس هو القائل : « انني في شعري احمل جنسيات العالم كلها وانتمي لدولة واحدة هي دولة الانسان » . ثم اليس هو القائل ايضا : « انني اكتب عن المراة وعن القضية العربية بحبر واحد .. اصابعي هي هي . وصوتي هو هو . وانا موجود في عيون الجميلات كما انا موجود في فوهات البنادق .. » . كفاه ذلك ..

اتضح ان نزار قباني خلاق في افكاره ومعانيه ... مجدد في اسلوبه وادائه ... الى جانب ان الصدق اساس فنه ، والكشف الدائم نصب عينه . فقد تمكن من اشتقاق معاني جديدة من معان مطروقة .. ملقاة على الطريق كما يقال ، معاني حية .. نابضة بدم الحياة ، بحكم ما يولده قانون التداعي والمونولوج الداخلي ، وان إختلفت احجامها ومساحاتها .. وتلك آية الفن الصحيح .

ما من ريب ان لنزار قباني ارضية من الثقافة العربية .. انما الفكر الفرنسي الذي انقاد له طائعا مختارا ، وسع افق خياله وتصوراته ، ووقوفه على اللغتين : الانكليزية والاسبانية بما تيسر له ، شحنه بطاقات على الاطلالة والتعمق ، في حين وهبته رحلاته المتابعة في عالمنا الموار بكل عجيبة وطريفة زخما من الخبرة والثروة . كما استطاع نزار قباني ان يجد لغة شعرية بسيطة .. مأنوسة ولكنها غير معمول بها ، وغير مألوفة لدى الكثيرين ممن تعودوا قراءة الشعر العربي على تباين ادواره في ضخامة الفاظه ووعورة مضموناته وزخرور تهويلاته ..

هذا كله كان ضمانة كافية لان يجعل من نزار قباني شاعرا مجددا .. متمرد الفكر صريحه ، بديع المعنى واضحه ، يتقن صياغته في اسلوب متوتر .. سهل ممتنع يشيع حدة وحركة .. كذلك يجعل منه ثائرا يحاول ربط ثورته الشعرية على القوالب والمفهومات الموروثة بولادته الربيعية في ٢١ اذار من عام ١٩٢٣ ، وبه يتبدل وجه الارض وتمزق الطبيعة عنها اكفان الشتاء . انه في ذلك يقول : « لن يصل بي الغرور الى الحد الذي ازعم به انني (اخترعت) لغة . فاللغة ليست ارنبا يخرج من قبعة الحاوي ولكنني اسمح لنفسي ان اقول : انني طرحت في التداول لغة موجودة على شفاه الناس ولكنهم كانوا يخافون التعامل بها » .

ثم يحاول نزار قباني في كتابه « قصتي مع الشعر» ان ينفي عنه تهمة كونه شاعر النساء طوال عمره ، وتحوله عنها منذ هزيمة حزيران في عام ١٩٦٧ الى شاعر له قضية .. قضية الامة العربية ، يتحسس بها ويركز عليها بحرارة واصرار .. ذلك انه كانسان لم يتغير ولم يحاول ان يتغير الا انه كشاعر (حالة) وليس « شجرة ولا وتد خيمة .. والحالة تنتقل في كل ثانية الى حالة اخرى » . ثم ان « الشاعر كموج البحر في انقلاب مستمر على نفسه » . هنا قال : « ولذا فان تحولي بعد الخامس من حزيران ليس معجزة ولا نصف معجزة . انه رد فعل انساني . عمل تدافع به الحياة عن نفسها .. » .معناه : ان الظروف التي مرت به هي المسؤولة عن ذلك . فقد اظهرته بمظهر غير طبيعي وحولته الى ما صار اليه في ما بعد ، تحولا الب عليه النقاد والكتاب من مغرضين وغير مغرضين ، للتهوين من شانه الادبي والتطاول عليه والزراية به .

على انه يسوق مسوغات طبيعية لذلك كله من غير « ان يشعر بالحاجة للتكفير عن جريمة وهمية لم يرتكبها» مصداقا لهذا ينبري قائلا : « ما كتبته قبل ٥ حزيران لم يكن مكتوبا لسكان المريخ . فانا لا اكتب لسكان الكواكب الاخرى . وانما اكتب للانسان الذي يعاصرني ، وله عواطف تشبه عواطفي وجسد يشبه جسدي ودموع تشبه دموعي » . ويستطرد : « كل ما اريد ان اوضحه ان النقطتين التاريخيتين اللتين يفصل بينهما الخامس من حزيران هما في تصوري نقطتان افتراضيتان . فالنسبة لشعري لا يوجد قبل ولا يوجد بعد . لا يوجد امام ولا يوجد وراء . وانما يوجد الشعر نفسه الشعر المنفعل بالعصر وبالارض وبالانسان . انني لا اسمح بتحويلي الى (سوبر ماركت) تعرض البضائع فيه حسب حاجات المستهلكين ورغبات ربات البيوت . على من يريد ان يقرأني ان يدخل عالمي الشعري دخولا كاملا وشموليا . اما الذي يكتفي بدخول غرفة واحدة من غرف البيت الكبير وينسى بقية الغرف فلا اريد ان يزورني مرة اخرى .. » .

مع ذلك فنزار قباني جاء ينقد ذاته ويعريها كشجرة خريفية ويبدأ بها عملا بقول الحكيم : ابدأ بنفسك .. هكذا يريد ان يتحدث : « ولقد كنت في قصيدتي (هوامش على دفتر النكسة) اول من غسل نفسه بنفسه . اول من سكب الزيت الحارق على جلده ، وجلد قصائده .. كنت اول من طبق الطريقة البوذية في حرق نفسه في منتصف الشارع .. » ولا يكتفي بذلك وانما يدعو الشعراء والمفكرين والادباء الى الفداء والتضحية دعوة لا لبس فيها ولا تبجح. انرى ماذا يقول : « مطلوب من كل الادباء العرب ان يحرقوا انفسهم على الطريقة البوذية في الساحات العامة . فمنذ عصور طويلة لم تطهر النيران ادبنا وادباءنا . اين المفكرون الشهداء في العالم العربي ؟ اين هم المشنوقون على حبال كلماتهم !! ؟ اين هم اللابسون اكفانهم بانتظار سيف

الذابح » .

لئن كنت نوهت باهم ما في كتـاب « قصتـي مع الشعر » لنزار قباني من مذكرات واعترافات ، فـلا ينبغي ان اضرب صفحا عن تجاربه الفنية وانتقالاته الشعريـة المختلفة ، لكونه دائب البحث عن ارض جديدة ، لا يحب الاستقرار في مكان ما مهما اغراه بجلاله ومهابه ، بروعته ومتعته ، ولكونه دائم الكشف عن اشياء غير معهودة اثباتا لوجوده الذاتي والانساني .

انه يلقي الانوار الكاشفة على دواوينه الصادرة عبر الاعوام ، فكيف نظم اشعاره وكيف خاض هذا المعتـرك الصخاب عند تأدية تجاربـه الشعورية وانتقاء قيمهـا التعبيرية . ومما يقول : « كتاب الحب اتعبني واستهلكني فلقد اشتغلت عليه كما لم اشتغل على اي كتاب صدر لي من قبل . مزقـت عشرات المسودات ورميت عشرات التصاميم وكانت قصيدة تتألف من مقطعين تأخذ منـي شهرين من العمل ومن خلال عملية الشطب والتمزيـق عرفت وجعا جديدا لم اعرفه في كل تاريخي الشعري . انه وجع الايجاز » .

هنا تذكرت ما كان يفعلـه الروائي العالمي ايرنست همنجواي حين كتابة رواياته واقاصيصه . ومن ثـم يعالج نزار قباني قضية الحرية في الشعر وخاصة فـي كتابه « مئة رسالة حب » : « ثم جاء كتابي (مئة رسالة حب) ليتقدم خطوة اخرى نحو الحرية . في هذا الكتاب المكتوب على شكل رسائل سقطت الاشكال الخارجية للشعر سقوطا نهائيا . تكسر الجبس وتفتت السيراميك واختفـت التفعيلات والقوافي » .

بعد ذلك يدخل نزار قباني الى موضوع « قصيدة النثر » فيعتبره « ثمرة من ثمار الحرية ونتيجة من نتائج الثورات الثقافية والسياسية التي تحرث تراب هذا الكوكب وصورة لهذا العصر الطموح الذي يغير جلده كل دقيقة » ... كذلك يدخل الى القصيدة الانسانية معرجا علـى اهميتها بقوله : « وفي مجموعتي (اشعار خارجة علـى القانون) ١٩٧٢ جربت كتابة (القصيدة الانسانية) : اي تلك التي تأخذ اشكالا مائية وتتسع دوائرها الايقاعية كما تتسع دوائر الصوت في قاعة لا جدران لها . واهمية هذا الشكل الانسيابي او المائي كما احب ان اسميه انه لا يربط الشاعر بنظام السلم الموسيقي للابحر الخليلية ولا يكبلـه بقواعد (السولفيج) للعروض العربي وانما يعطيه مفتـاح النغم الرئيسي ويترك له حرية التنويع والابتكار ، حسب ما تملي عليه حريته » .

اخيرا .. هل اراد نزار قباني ان يقول شيئا فـي كتـابه ؟؟

وهو كذلك . فقد قاله . من هنـــا امـد اليه يد المحبة .

بغداد ـ الاعظمية — وحيد الدين بهاء الدين

لا تغب

اليها .. في انضر فردوس

الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

لا تغب ايها المحيا الجميل   ان حزني عليك مر ثقيل
لا تغب فالظلام بعدك يشتد   وما عن سناك انت بديل
ان امسي منذ احتجبت كيومي   مدلهم والتاليات شكول
ما به من صبا تهب على الرو   ح كعهدي والروح منك ظليل
ما به من بشاشة تنعش النفس كعهدي والمزح منك خجول
وبنات الاشواق في قفص الصدر   حمام له عليك هديل
اعولت في تشنج كالذي جن   ذهولا واين يجدى العويل
كلما صفقت باجنحة الشوق   تلظى دم واز غليل
ولروحي توثب يتنزى   لك شوقا ، وما اليك سبيل
ظنت الصدر حائلا فتمنت   لو تخلت عنه ، فليس يحول
لا تغب منك بسمة هي للنفس اذا لاعها الصدى سلسبيل
لا تغب منك رقة هي للقلب   شذا ساقه نسيم بليل
لا تغب منك خفة تملأ البيت   نشاطا فللحياة صليل
قد تعجلت في الرحيل ويستبعد ممن له صباك الرحيل
ولوميض الحياة في حسنك الضا   حك نور بهاؤه يستطيل
ولزهو الجمال في فرعك الفينان   سحر على الفؤاد يصول
ولتيه الشباب في عودك النا   ضر دل يميل حيث تميل
ذبل الورد في الربيع وهول   اي هول ، عند الربيع الذبول
افل البدر ليلة التم هلا   كان عند المحاق هذا الافول
أوصبر ! شربت من قدح   الصبر فذقت الزعاف وهو وبيل

ليت شعري وانه لسؤال   عن شجون جوابه مستحيل
شر ما يبتليك ان تبعث القول   ملحا ، والرد صمت مهول
ليت شعري عن غادتي كيف تغفو   في ثراها ، والليل جهم طويل
الفت الانطلاق في الق النو   ر فبالله كيف راع المقيل
ما تخيلتها تغيب مع الديجور   الا ومزقتني النصول
الهها في الثرى حنين لدينا   منه في هذه الحياة مثيل
اتخف الاطياف منا اليها   والدجى في رحابها مسدول
اترى في الكرى وجوه احبا   ء شجاهم شبابها المقتول

مثلما يختلى سناها لدى النو   م فتحكي شجونها ونقول
رائع ذاك الخيال ملما   ولئن قل عندنا ما ينيل
واذا اسعد الفؤاد هنيها   ت فعقباه ردة ونكول
ادرت لوعة ينوء بها زوج   مهيض القوى وام ثكول
وسؤال الاطفال عنها متى تأتي   ولا يشتفى برد سؤول
اوهان السرور في فرص الا   اذ دعا بالفراق حاد عجول
او هان السرور في فرص الا   نس فيغدو والحزن منه بديل
يا لها رحلة يجف لها الدمع بعيني   والبرء حين يسيل
زورق يمخر العباب وظني   ان مسراه في النوى سيطول
قد سالنا ايان يرسو فقالوا   ان مرساه شاطئ مجهول
سفن البين تستقل باحبابي   الى حيث لا يتاح القفول
اين ولت ؟ متى تعود ؟ خفايا   مبهمات ، ترخى عليها السدول
لم اصادف اخا حجا يكشف   السر فهل غال ذا الحصافة غول
ما توقعت راجعا بخير الناس   وانى ، وكل فان يزول
انت تدرين حيرتي فعلام الصمت   ان كان في يديك الدليل
لو يروح البريد يوما ويغدو   لأتى ذلك الجواب الحفيل
اعلى الجمر هكذا نتلظى   حيث لا يهدأ السؤول المطيل

لم التاع باكيا ؟ ألنفسي   ام لها ، تلك حيرة لا تحول
ألنفسي ، وقد كرهت وجودي   بعدها فهو شائه مرذول
ألنفسي ، وبي انهيار من الهم   تداعى به كياني المهيل
ألنفسي وبي انقباض عن النا   س كأني مستبعد معزول
ألنفسي وبي شتات لدى الفكر   طروح كمن عراه الذهول
ألنفسي وليس لي مطمح ارنو اليه   ولا هوى مامول
ام لها والثرى المؤبد سجن   كابدت هوله حصان بتول
كسفت شمسها صباحا فما راق   ضحاها ولا استتم الاصيل
نصل السحر في مفاتن عينيها   وقد كان ذا فرند يصول
وتلاشى العبير حين تلاشى   نفس عاطر وورد خجول
وتوارت غدائر كفروع الز   هر هبت بها صبا وقبول
يا لهول الصراع في اعمق الا   عماق مني اذا تدجى السبيل
اظهر العزم كي اكون طبيعيا   وللجسم ونية وخمول
واداري وجدي عن الناس كيلا   يتسامى اليه نقد هزيل
واصطناع السرور عبء اذا ما   صفدت راحة الاسير الكبول
كم تبسمت كاظما مع اطفا   لي فالهاهم ابتسامي الدخيل
واجتنبت الهتاف باسمك فيهم   وانا في هواك حب قتيل
حذرا ان اعيد ملطمة الامس   فتكتاث في اساها العقول
فاذا ما خلوت صار نشيدا   عبقريا يحلو به الترتيل
قلت يحلو ، وقد يمر ، فآه   لاضطراب يعيا به التحليل

لا تغب ايها المحيا الجميل   ان حزني عليك مر ثقيل
لا تغب ايها المحيا ورفقا   بالعصافير ، فالمصاب جليل

الرياض ـ كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

الناشيء الاكبر ناقدا

بقلم الدكتور يوسف حسين بكار

رئيس قسم اللغة العربية وادابها المنتدب
كلية الاداب — جامعة مشهد — ايران

* * *

ثمة ناشئان ، الناشيء الاكبر (١) ، والناشيء الاصغر (٢). اما الناشيء الاكبر (٣) فهو عبد الله بن محمد ابو العباس المعروف بابن شرشير (٤) ، انباري ، اقام ببغداد مدة طويلة ثم خرج الى مصر فنزلها الى ان مات هناك عام ٢٩٣ هـ .

ذكر المرزباني (٥) ان سبب شخوص الناشيء الى مصر سقوطه ببغداد ، ووصفه بأنه كان « متهوسا شديد الهوس » وقال « وقد قرأت بعض كتبه ، فدلتني على هوسه واختلاطه ، لانه اخذ نفسه بالخلاف على اهل المنطق والشعراء والعروضيين (٦) وغيرهم ، ورام ان يحدث لنفسه اقوالا ينقض بها ما هم عليه فسقط ببغداد ، فلجأ الى مصر فشخص اليها واقام بها بقية عمره » (٧) . غير ان القفطي يرى فيه رايا مخالفا حيث يقول وكأنه يرد على المرزباني ومن يشاطره رأيه : « وكان يعلم العلوم ويتبحر فيها ، علم النحو واحكمه ، ونظر في علله ، وهو متكلم فبين له بقوة الكلام نقض اصوله فنقضها وصنف فيها ، وكذلك العروض ادخل على قواعده شبها ناقضة لها ، ومثله بأمثلة غير امثلة الخليل ، واحسن والله في كل ذلك، واظهر قوة ، وكذلك فعل بالكتب المنطقية . واذا وقف الواقف على تصانيفه وانصف ظهر له اثر الاجتهاد والامتاع، حتى ان الغير (كذا) منصف ينسبه الى التهوس ، وليس الامر كذلك ، وانما هي قوة وفطنة » (٨) .

كان الناشيء معتزليا (٩)، وقيل انه كان ثنويا(١٠) ، وعده ابن النديم ايضا في جملة من « تشهروا اخيرا من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الزندقة » (١١) .

وصف الرجل « بالنحوي العروضي » ، وفضلا عما في النصين السالفين من معلومات عنه في علمي النحو والعروض ، فقد قيل انه اخذ عن سيبويه والاخفش ، ثم وضع في النحو « كتبا » ، لكنه مات قبل ان يتمها وتؤخذ عنه حتى قال المبرد « لو خرج علم الناشيء الى الناس لما تقدمه احد » (١٢) الا انه لم يصل الينا شيء من نحوه او عروضه ، ولا نعلم من امر مصنفاته وتواليفه سوى ما يذكر ابن رشيق من ان له كتابا باسم « تفضيل الشعر » ذكر فيه اشياء من شعره ، فشكرها ونوه بها ونبه عليها ، وفضلها على اشعار الفحول امثال جرير وغيره ، وهذا عيب اخذه عليه ابن رشيق (١٣) . ولسنا نعلم — فيما يقول الدكتور احسان عباس (١٤) أهو الكتاب الذي سماه ابو حيان التوحيدي « نقد الشعر » (١٥) ام هو كتاب آخر ؟

اما عن الناشيء الشاعر ، فقيل انه كان « متكلما شاعرا مترسلا ، حسن الادب » (١٦) وكان « من الشعراء

---

(١) راجع فيه : طبقات ابن المعتز ٤١٧ — ٤١٨ ، فهرست ابن النديم ص ٢١٧ ، مراتب النحويين ٨٥ ، تاريخ بغداد ١٠ : ٩٢ ، الكامل في التاريخ ٦ : ١١٥ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٧ ، البداية والنهاية ١١ : ١٠١ ، المنتظم ٦ : ٥٧ ، تاريخ ابي الفداء ٢ : ٦١ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٥٨ — ١٥٩ ، انباه الرواة ٢ : ١٢٨ وحسن المحاضرة ١ : ٢٤٠ .

(٢) هو ابو الحسن (في الفهرست : ابو الحسين) علي بن عبدالله بن وصيف الحلا (لانه كان يعمل حلية من النحاس) ، كان جده وصيف مملوكا وأبوه عبد الله عطارا . قيل انه ولد عام ٢٧١ هـ وتوفي عام ٣٦٦ او ٣٦٥ ببغداد .

قصد سيف الدولة بحلب فغمره باحسانه ، ولما مضى الى الكوفة عام ٣٢٥ وأملى شعره بها كان المتنبي وهو صغير يحضر مجلسه بها. كان متكلما بارعا وشاعرا مجيدا خاصة في قصائده في أهل البيت عليهم السلام ، وكان صاحب تصانيف لم تذكر المصادر منها شيئا . (راجع عنه على سبيل المثال : الفهرست ٢٢٦ ، يتيمة الدهر ١ : ٢٣٢ ، ووفيات الاعيان ٣ : ٥١) .

(٣) اكتفت المصادر التي ترجمت له بأن « الناشيء لقب غلب عليه » الا أن ابن النديم يذكر أنه لقب بالناشيء لانه « دخل مجلسا فيه أهل الجدل ، فتكلم فتى حدث السن ، على مذهب المعتزلة ، فجود وقطع من ناظره ، فقام شيخ منهم فقبل رأسه وقال : لا أعدمنا الله مثل هذا الناشيء ان يكون فينا ..... واستحسن ابو العباس هذا الاسم فلقب بـه » (الفهرست ٢١٧).

(٤) في الفهرست : « المعروف بشرشير »، وشرشير في الاصل طائر يصل الى الديار المصرية من البحر في الشتاء ، وهو أكبر من الحمام بقليل .

(٥) لم أعثر للناشيء على شيء في « الموشح » ومعجم«الشعراء».

(٦) في البداية والنهاية (١١ : ١٠١) : « والفروضيين » (بالفاء) .

(٧) تاريخ بغداد ١٠ : ٩٢

(٨) انباه الرواة ٢ : ١٢٨ ثم انظر : وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٩) الفهرست ٢١٧ ومقالات الاسلاميين في مواطن متعددة،وغيرهما

(١٠) الفهرست ٢١٧ (طبعة طهران ١٩٧١)

(١١) المصدر السابق ٤٠١

(١٢) مراتب النحويين ٨٥ والمزهر ٢ : ٤٠٩ (طبعة جاد المولى وزملائه ، القاهرة)

(١٣) العمدة ١ : ٢٠١ (تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٥٥ م)

(١٤) تاريخ النقد الادبي عند العرب ٦٦ (بيروت ١٩٧١ م).

(١٥) البصائر والذخائر ٢ : ٢٧٣ و ٦١٩ (تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني — دمشق ، دون تاريخ) .

(١٦) الفهرست ٢١٧

المجيدين » ، وعد في طبقة ابن الرومي والبحتري وانظارهما (١٧) . كان له شعر كثير وصفه المرزباني ،الذي يبدو انه كان يتحامل عليه ، بأنه « مع كثرته قليل الفائدة » (١٨) في حين قال القفطي الذائد عنه انه « يتضمن فوائد » (١٩) .

ومهما تكن قيمة شعره الفنية ، فان المصادر تذكر انه نظم في « الكلام » ــ وقيل في « فنون العلم »ــ قصيدة في أربعة الاف بيت على روي واحد وقافية واحدة ، ويذكر ابن كثير ان له قصيدة حسنة في نسب الرسول الاكرم(٢٠) وله شعر في الفخر والاعتداد بالنفس (٢١)، والغزل لم تبق منه الا نماذج قليلة . ونبه ابن خلكان الى اشعار كثيرة للناشىء في الطرد والصيد وآلاته والصيود وما يتعلق بها ، جرى فيها على اسلوب ابي نواس في طردياته ، وقد استشهد كشاجم الرملي بقدر كبير منها (٢٢).

اما الناشىء الناقد عمدة هذا المقال فيعود الفضل في الكشف عنه الى ابي حيان التوحيدي ، وهو ما انتبه اليه الدكتور احسان عباس فكان ــ فيما اعلم ــ اول من تناول الناشىء ناقدا من المعاصرين ، اثنى التوحيدي على الناشىء في النقد بقوله : « وما اصبت احدا تكلم في نقد الشعر وترصيفه احسن مما اتى به الناشىء المتكلم، وان كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره» (٢٣) . أيعقل اذن أن يذهب التوحيدي هذا المذهب بواقع النصوص القليلة التي ذكرها للناشىء ؟ احسب ان لا ! فاكبر الظن انه قرأ له « نقد الشعر » والا كيف أجاز لنفسه ان يوازن بينه وبين قدامة بن جعفر وغيره ويحكم عليهم ؟!

غير ان ما جاء به التوحيدي واعتمد عليه الدكتور احسان عباس لم يكن جهد الناشىء اليتيم في النقد الادبي ونقد الشعر خاصة ، ففي « عمدة » ابن رشيق الذي نبه الى كتاب « فضل الشعر » وابدى رأيه في بعضه ، قصيدتان نقديتان للناشىء ، تذكراننا بقصيدة « فن الشعر» النقدية لهوراس . وهما تتممان محاولاته ونظراته النقدية التي احتفظ بها التوحيدي ، وتضيفان اشياء جديدة لها . وليس الناشىء بدعا بين الشعراء والنقادالذين يميطون اللثام عن آرائهم النقدية شعرا .

القصيدة الاولى في اثنين وعشرين بيتا (٢٤)،والاخرى في أربعة عشر بيتا (٢٥) استهل بهما ابن رشيق الباب الثاني والسبعين من « عمدته » الذي خص به « اغراض الشعر وصنوفه »، ولست اشك في انه افاد منهما كثيرا في ارائه في هذا الباب .

اولى القضايا النقدية التي تطالعنا في مستهل القصيدة الاولى قول صاحبها وايمانه بقضية « صنعة الشعر » او « صناعته » وما يترتب عليها وينجم عنها من أمور :

لعن الله « صنعة الشعر » ماذا … من صنوف الجهال فيها لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما … كان سهلا للسامعين مبينا
ويرون المحال شيئا صحيحا … وخسيس المقال شيئا ثمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد … رون للجهل انهم يجهلونا
فهم عند من سوانا يلامو … ن ، وفي الحق عندنا يعذرونا

لقد سبق أرسطو نقاد العرب في القول بصناعة الشعر (٢٦) ، غير ان الناشىء كان واحدا من الرعيل الاول من نقادنا القدماء ممن استعملوا هذا الاصطلاح ، وكانوا كلهم من معاصريه ، ومن بينهم اثنان من اتباع مذهبه، وهم جميعا : بشر بن المعتمر (٢٧)، وابن سلام الجمحي(٢٨) ، والجاحظ (٢٩)، ومن ثم شاع وانتشر عند نقاد العصور التالية (٣٠) . لكننا لا نستطيع ان نتبين مدى مفهومه لدى الناشىء ، أهو مجرد خلق صناعي لا علاقة له بالطبع والموهبة مثلما هو الامر عند ابن طباطبا العلوي وغيره ، ام هو « فن » يجمع بين التلقائية والارادية ــ على حد التعبير المعاصر ــ كما هي الحال عند ارسطو وبشر بن المعتمر والجاحظ والقاضي الجرجاني وغيرهم (٣١)؟

ومهما يكن ، فقد لعن الناشىء « صنعة الشعر » ، لا لشيء ، الا لانها كانت ــ وما تزال ــ كالبئر ، كل يمد فيها رشاءه ويدلي بدلوه ، واتخذ من صنيع من كانوا يتباحثون في الشعر في مجلس « اسماعيل بن بلبل » ــ فيما يذكر ابن رشيق ــ ذريعة نفذ من خلالها فشن حملة على من كانوا يتطفلون على موائد الشعر والنقد، ولا عجب ، فمعاصره الجاحظ معروف بحملته الضارية على علماء العربية من رواة ولغويين ونحويين ممن لم يسلكوا مضايق الشعر ، أليس هو القائل : « طلبت علم الشعر عند الاصمعي ، فوجدته لا يحسن ، الا غريبه ، فرجعت

---

(١٧) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٧
(١٨) تاريخ بغداد ١٠ : ٩٢
(١٩) انباه الرواة ٢ : ١٢٩
(٢٠) البداية والنهاية ١١ : ١٠١
(٢١ (البصائر والذخائر ٢ : ٢٦١ ، ٦٧١
(٢٢) المصايد والمطارد (تحقيق الدكتور اسعد طلس . بغداد ١٩٥٤م) ص : ٦٧، ٦٨، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦، ٩٢ ، ١٠٢، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٥، ٢٢٥، ٢٥٢، ٢٥٣ .
(٢٣) البصائر والذخائر ٢ : ١١٧
(٢٤) العمدة ٢ : ١١٣
(٢٥) العمدة ٢ . ١١٥
(٢٦) كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٩ (تحقيق الدكتور شكري عياد).
(٢٧) البيان والتبيين ١ : ١٣٨ (تحقيق عبد السلام هارون ــ الطبعة الاولى ــ القاهرة ١٩٤٨م)
(٢٨) طبقات فحول الشعراء ص ٧ (تحقيق محمود شاكر ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٥٢ م).
(٢٩) البيان والتبيين في مواطن كثيرة ، ورسائل الجاحظ ١ : ٢٨٥ (تحقيق عبد السلام هارون) .
(٣٠) و (٣١) تفصيل هذين الموضوعين في رسالتي للدكتوراة « بناء القصيدة العربية عند النقاد القدماء في ضوء المفاهيم النقدية الحديثة » التي ستتولى نشرها دار المعارف بمصر .

الى الاخفش ، فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على ابي عبيدة ، فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالإخبار وتعلق بالايام والانساب (٣٢)» والقائل ايضا « لم ار غاية النحويين الا كل شعر فيه اغراب ، ولم ار غاية رواة الشعر الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى استخراج(٣٣)» وقبل الجاحظ والناشىء كانت لبعض الشعراء من مثل بشار بن برد وابي نواس آراء مماثلة في امثال يونس بن حبيب وابي عبيدة في احكامهم النقدية على الشعراء وتفضيل بعضهم على الاخر (٣٤).

ان حملة النقاد تلك تشف عن فهم لماهية النقد ، وعمن هو الناقد ، وما هي مسؤوليته وتكشف عن استمرار طريقة اولئك العلماء في هذا القرن ، لكن الحملة لم تنته بانتهاء القرنين الثاني والثالث الهجريين ، بل استمرت فيما بعد عند الصولي (٣٥) ، وعبد القاهر الجرجاني (٣٦) وابن رشيق (٣٧)، وابن الاثير (٣٨) ، وغيرهم . ومن الطريف أن نعرف ان حملة مروان بن ابي حفصة قبل الناشىء ، وابن الرومي معاصره كانت شعرا ايضا (٣٩).

ثاني القضايا النقدية عند الناشىء انه راح ـ بعد أن فرغ من حملته ـ يبين الصورة المثلى لما يجب ان يكون عليه الشعر ، وهي صورة ليست غريبة على الحياة النقدية العربية من قبله ومن بعده :

انما الشعر «ما تناسب في النظم»	**وان كان في الصفات فنونا**
فاتى « بعضه يشاكل بعضا »	**قد « أقامت لـه الصدور المتونا»**
كل معنى أتـاك منه على مـا	**تتمنى لو لم يكـن أن يكونـا**
فتناهى عن البيان الـى ان	**كـاد حسنـا يبين للنـاظرينا**

ان الاصطلاحات والعبارات النقدية الواردة في ابيات الناشىء هذه في تصوره للبناء الشعري هي بعض ما كان يسود البيئة النقدية آنذاك ، وقد تكون من الاسس التي ساعدت المرزوقي فيما بعد على جمع الدعائم السبع التي ارتكز عليها « عمود الشعر » العربي ، لكنها على اية حال اصطلاحات مضللة ، اذ خدعت كثيرين من نقادنا المعاصرين، فظنوها قريبة لما يعنيه النقد الحديث بالوحدة العضوية في القصيدة . فالتناسب او التناسق في النظم في عرف القدماء لم يخرج عن ان يكون الشعر مما « طالب قريضه، وسلم من السناد ، والاقواء ، والاكفاء.... ، وغير ذلك من عيوب الشعر (٤٠)» أو ان «يستمر الشاعر في المعنى الواحد واذا اراد ان يستأنف معنى آخر احسن التخلص اليه حتى يكون متعلقا بالاول غير منقطع عنه (٤١)» .

ولست اذهب بعيدا اذاما قلت ان ما تضمنه البيتان الاولان من اصطلاحات كانت جذورا لبعض قواعد عمود الشعر وهي « التحام اجزاء النظم والتئامها .... ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما (٤٢)» .

ان تصور الناشىء للبناء الشعري في الابيات السالفة يتمم ما اورده له التوحيدي من ان « الشعر قيد الكلام، وعقال الادب ، وسور البلاغة ، ومحل البراعة ، ومجال الجنان ، ومسرح البيان ، وذريعة المتوسل ، ووسيلة المترسل ، وذمام الغريب ، وحرمة الاديب ، وعصمة الهارب ، وعذر الراهب ، وفرحة المتمثل ، وحاكم الاعراب ، وشاهد الصواب (٤٣)» . يرى الدكتور احسان عباس ان هذا التعريف « يشير الى طبيعة الشعر (من حيث انه مقيد بايقاع ولذا فهو يتطلب براعة خاصة) والى ما يحققه من مهمات .... (٤٤)» .

ان يكن التعريف السابق يشير الى طبيعة الشعر وما يحققه من مهمات فما في الابيات يشير الى «كيفية» بناء الشعر ونسجه، هذه القضية التي لم يعالجها النقاد القدماء كاملة ، بل اسهم فيها جلهم اسهاما كاد يشكل نظرية متكاملة ، غير ان ناقدين اثنين هما ، ابن طباطبا من القرن الرابع وحازم القرطاجني من القرن السابع الهجري كادا يأتيان على كل شيء فيها على ما بينهما من وجوه اختلاف وتقارب فرضتها طبيعة عصريهما وثقافة كل منهما . وحسب ناقدنا الناشىء اذن ان يكون من اقدم الذين اسهموا في وضع لبنات اساس البناء الشعري عند العرب .

وينهي الناشىء حلقات تعريفه للشعر وطبيعته وكيفية بنائه بالابيات الثلاثة الاولى من قصيدته الثانية:

الشعر ما قومت زيغ صدوره	**وشددت « بالتهذيب » اسر متونه**
ورأيت «بالاطناب» شعب صدوعه	**وفتحت « بالايجاز » عور عيونه**
وجمعت بين قريبه وبعيده	**ووصلت بين مجمه ومعينه**

لقد احس ان « عملية » البناء الشعري لا تتم الا بتهذيبه وتنقيحه، فدخل بهذا في جماعة النقاد الذين عدوا التنقيح مرحلة مستقلة من مراحل خلق القصيدة وبنائها، وكان ممن رأوا التنقيح ضرورة لازبة في كل فنون الشعر ، على العكس من الجاحظ الذي لم يكن يراه ضروريا الا في قصائد المديح (٤٥).

(٣٢) العمدة ٢ : ١٠٥

(٣٣) البيان والتبيين ٤ : ٢٤

(٣٤) اعجاز القرآن ١١٧ والعمدة ٢ : ١٠٤

(٣٥) ديوان ابن الرومي ٢ : ٢٩٠ (مختارات كامل كيلاني).

(٣٦) اسرار البلاغة ١٦٥ ـ ١٦٦ ودلائل الاعجاز ١٦٦ ـ ١٦٧ واستشهد عبد القاهر بابيات مروان بن ابي حفصة وابن الرومي في هذا الخصوص .

(٣٧) العمدة ١ : ١١٧

(٣٨) الاستدراك ص ٥ .

(٣٩) أخبار ابي تمام ١٢٧ (تحقيق خليل عساكر وزملائه ـ بيروت ـ دون تاريخ).

(٤٠) قواعد الشعر ٦٧ (تحقيق رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٦٦ م) .

(٤١) سر الفصاحة ٢١٥ (تحقيق عبدالمتعال الصعيدي ـ القاهرة ١٩٥٢ م).

(٤٢) مقدمة المرزوقي لديوان الحماسة ١ : ٩

(٤٣) البصائر والذخائر ٢ : ٢٧٣

(٤٤) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٦٤ .

ثم اشار الى قضية اخرى لم يفت النقد القديم ان يلجها ، هي قضية « الطول » و «القصر » في الشعر ، ونفهم من كلامه انه كان يرى ان لكل مجاله ومناسبته .

والقضية الثالثة انه لم يفت الناشىء ان يدلي بدلوه في مسألة « اللفظ والمعنى » بقوله :

فكان « الالفاظ » فيه وجـوه و « المعاني » ركن فيه عيونا

لكن في اي فريق من الفرقاء الذين تفرقوا في هذه المسألة شيعا واحزابا يمكن ان نسلكه ؟ يتراءى لي انه كان رأس الفئة التي ربطت بين اللفظ والمعنى ربطا احكم ، والتي لا نجد لها ممثلا قبله ، ومن اشهر اعضائها بعده ، الباقلاني(٤٦) ، وابن رشيق وعبد القاهر الجرجاني اكبر ممثليها واكثرهم بها اهتماما ، وادقهم لها فهما . واستطيع ان ازعم ان ابن رشيق الذي عالج «اللفظ والمعنى» في ضوء آراء غيره ممن كانوا ينتصرون الى اللفظ او المعنى ، قد افاد من الناشىء ، فمثلما شبه الناشىء الالفاظ بالوجوه والمعاني بالعيون ، تمثل ابن رشيق اللفظ جسما ، وروحه المعنى ، وارتباطه به ارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته (٤٧).

والقضية الرابعة والاخيرة ان الناشىء فيما ارجح مهد الطريق لمن بعده من النقاد في «كيفية» تناول كل فن من فنون الشعر ، والنهج الذي يجب اتباعه فيه ، فهو في المدح غيره في الغزل او الهجاء :

فاذا ما مدحت بالشعر حرا — رمت فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلا قريبا — وجعلت المديح صدقا مبينا
وتنكبت ما تهجن في السمع ، — وان كان لفظه موزونا
واذا ما قرضته بهجاء — عفت فيه مذاهب المرفثينا
فجعلت التصريح منه دواء — وجعلت التعريض داء دفينا
واذا ما بكيت فيه على الغاد — ين يوما للبين والظاعنينا
حلت دون الاسى وذللت ما كا — ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا شبت في الوعد — وعيدا وبالصعوبة لينا
فتركت الذي عتبت عليه — حذرا آمنا ، عزيزا مهينا
وأصح القريض ما فات في النظم ، — وان كان واضحا مستبينا
واذا قيل اطمع الناس طرا — واذا ريم أعجز المعجزينا

يتناول هذا الجزء ما يعرف بـ « الاساليب الشعرية» عامة ، ويركز في البيتين الاخيرين على ما عرف فيما بعد « بالسهل الممتنع ». وربما كان هذا نواة لما نجده عند القاضي الجرجاني وابن رشيق وحازم القرطاجني .

فالناشىء يحدد هنا الاسلوب او النهج الذي على الشاعر ان يسلكه في اغراض شعره ، وهو الى هذا ــ فيما يبدو ــ من القائلين بضرورة المقدمة الغزلية في قصيدة المدح خاصة، على ان تكون سهلة ، قريبة ، بعيدة عن التوعر والغرابة. وكان يعتنق المذهب نفسه الذي آمن به معاصره ابن قتيبة، وابن رشيق من بعد ــ وان يكن الالتفات الى الاثر النفسي عنده غير واضح ــ وهو ان « مخاطبات النساء تحلو في الشعر ، وتعذب في القريض .... »(٤٨). اما المدح نفسه فاشترط فيه « الصدق المبين » من ناحية و « الاسهاب » او « التطويل » من ناحية اخرى دونما تمييز بين الممدوحين ، وهو هنا يقترب من الجاحظ من حيث « الفكرة » ، ويختلف عنه من حيث ان الجاحظ كان يرى ان يطيل الشاعر في مديح الملوك اذا وقف بين السماطين (٤٩).

واشترط في الهجاء البعد عن الرفث والفحش ، واللجوء الى التصريح والتعريض في مواطنهما ، وشوب القسوة باللين في العتاب .

ويكمل الناشىء حديثه في هذا الموضوع ويكرر بعضه بقوله من القصيدة الثانية :

فاذا بكيت الديار وأهلها — أجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا مدحت به جوادا ماجدا — وفيته بالشكر حق ديونه
أصفيته بنفيسه ورصينه — وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلا في اتساق صنوفه — ويكون سهلا في اتفاق فنونه
فاذا أردت كناية عن ريبة — باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه — ببيانه ، وظنونه بيقينه
واذا عتبت على أخ في زلة — ادمجت شدته في لينه
فتركته مستأنسا بدماثة — مستيئسا لوعوثه وحزونه
واذا نبذت الى التي علقتها — ان صارمتك بفاتنات شؤونه
تيمتها بلطيفه ودقيقه — وشغفتها بخبيه وكمينه
واذا اعتذرت الى أخ من زلة — واشكت بين محيله ومبينه

هذا البيان الشامل في القصيدتين لما ينبغي ان تكون عليه فنون الشعر وموضوعاته عند الناشىء ليس الاتفصيل كامل لنصه التالي في تقسيم الشعر وتعداد موضوعاته، يقول : « اول الشعر انما يكون بكاء على دمن ، او تأسفا على زمن ، او نزوعا لفراق، اوتلوعا لاشتياق. . . .الخ»(٥٠)

اذا امعنا النظر فيما جاء في القصيدتين فيما يتعلق بالاغراض الشعرية ووازناه بما تضمنته الابواب التي عقدها ابن رشيق الغزل والمديح والافتخار والرثاء والعتاب والوعيد والاعتذار والهجاء ، لا نكاد نعثر على جديد ذي قيمة عند صاحب العمدة ، بصرف النظر عما تخلل عرضه من زيادات وتوضيحات واستطرادات ، فقد كان ابن رشيق يرى ان اول ما يحتاج اليه الشاعر « حسن التأتي والسياسة ، وعلم مقاصد القول ، فان نسب ذل وخضع، وان مدح اطرى واسمع ، وان هجا اخل (ربما اقل) واوجع، ... وان عاتب خفض ورفع ، وان استعطف حن ورجع .... »(٥١) . وقبل ابن رشيق ايضا كان القاضي الجرجاني يقول : « ولا آمرك باجراء انواع الشعر كله مجرى واحدا ، ولا ان تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل ارى لك ان تقسم الالفاظ على رتب المعاني ، فلا يكن

---

(٤٥) البيان والتبيين ٢ : ١٣ ــ ١٤ .
(٤٦) اعجاز القرآن ١١٧ (تحقيق السيد صقر ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٣ م).
(٤٧) العمدة ١ : ١٢٤
(٤٨) البصائر والذخائر ٢ : ٦١٩
(٤٩) الحيوان ١ : ٩٣
(٥٠) البصائر والذخائر ٢ : ٢٦٠ ــ ٢٦١
(٥١) العمدة ١ : ١٩٩

هل للمسافر عودة

دمعة على الصديق الراحل الشاعر خاشع الراوي بذكرى اربعينه

تعاودني ذكراك فالطرف دامـــع ... وقلبي مما قد قضى الله (خاشع)
وتعصف مـا بين الجوانح لوعـة ... وهيهات ان تطفي لظاها المدامع
تنازعني الذكرى بقـايا تجمـل ... بصبر لـه بيـن الحنايا لواذع
فيخذلني وقـع المصـاب فانثني ... وواحيرتي ممـا تضم الاضالـع
اذا عاد منك الطيف وهـو معاود ... وان هيـج الشوق المبرح ساجع
تخف دواعـي الهم وهي كثيـرة ... على مهجتـي يـا ويحها تتدافـع
افي كل يـوم للاحبـة مصـرع ... جديد ، الا رفقـا بنـا يا مصارع

اخـي خاشع هل للمسافر عودة ... الينـا وهل عهد السعادة راجـع
وان طـال تشتيت الزمن لشملنا ... فهـل يجمع الشمل المشتتجامع

رعـى الله ايامـا تقضت كانهـا ... سوانـح احلام بهـا الدهر مـاتع
غـداة صفا ورد وصفـق جدول ... واورق ميعـاد ولـذت مـراتـع
وطابـت اويقـات كما طاب اهلها ... وشرخ الصبا المزهو غض ويافع
وكنـا كعقد الزهـر رونق رفقة ... فيا حسرتي قد بعثرته الزوابـع
ايـا شاعرا حب اللئالىء نظمـه ... فكم بهرتنـا في يديه الروائـع
يزينهـا المعنى الرقيـق كـانهـا ... امانـي العـذارى ، فهي غر بدائع

اخي خاشع يا من رزئنـا بفقده ... ويا من عليه قد اقضت مضـاجع
يمينـا فقدنا الصبر عند فجيعة ... المت بنـا هانت لديها الفـواجع
عليك سـلام الله حيـا وميتـا ... ورواك غيث فوق قبرك هـامـع

بغداد ... باقر سماكة
ص.ب ٤٦٧

غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجـاؤك كاستبطائك ، فتلطف اذا تغزلت ، وتفخم اذا افتخـرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ....» (٥٢).

كذا اضحت المسألة على هذا الشكل عند حـازم القرطاجني من بعد ، واستطيع ان ازعم هذه المرة ايضـا ان حازما ــ وان يكن اكثر نقادنا القدامى اهتماما بالاسلوب واوسعهم فيه بحثا ــ لقف هذه الاشارات في ضـرورة اختلاف الاساليب الشعرية باختلاف موضوعاتها ، فأفاد منها وفصل القول فيها ، لكنه لم يقف بها عند الحـد الذي وصلت اليه ، بل راح يتحدث عن اساليب الشعـر جده وهزله مفيدا من آراء سقراط وارسطو(٥٣)، ثـم التفت الى ما يسميه النقد الحديث بالاسلوب التعبيـري والاسلوب التقريري في مجال كلامه على ما تقوم به كل من « صنعتي » الشعر والخطابة (٥٤)، وفي مواطن اخرى من كتابـه (٥٥).

تلكم هي جهود الناشيء الاكبر في النقد ، كان رائـدا في بعضها ، ومشاركا معاصريه في بعضها الاخر ، وحسبه انه اهتدى في القرن الثالث الى قضايا نقدية مهدت الطريق للتالين من النقاد وغير النقاد ، وعسى ان تجود الايـام بما لم يصل الينا من جهوده النقدية الاخرى .

جامعة مشهد ــ ايران ... يوسف حسين بكار

(٥٢) الوساطة ص ٢٤ (الطبعة الثالثة من تحقيق محمد ابـي الفضل ابراهيم وزميله ــ القاهرة)
(٥٣) منهاج البلغاء ٣٣٠ ومقدمة محققة ص ١٠٨ (تونس١٩٦٦م)
(٥٤) منهاج البلغاء ٦٢ ــ ٧١
(٥٥) المصدر السابق ص : ٢٩٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ عـلى سبيل المثـال .

كثير من الالسنة لا تهدأ ، تحاول ان تطوف حول خبايا الناس ، وما ينعكس على مرآة حياتهم من احداث وافعال ..

واغلب الناس بطبيعتهم وما فطروا عليه يشتهون ان ينصتوا لاي حديث لينقلوه الى غيرهم مع الاضافات ، والحواشي ، والشروح ، وهذه القصص الثلاثة تمتزج بوشيجة واحدة هي الانسانية المعذبة ..

فهاهي ذي القصة الاولى :

الحقيبة

كان «محمود» زميلنا في ادارة التحقيقات يحب دائما ان يستشف ما وراء كل انسان من امور ، فحاول ذلك مع السيد « عمر » الزميل الجديد ففشل ..

وفي صباح يوم قال لنا متسائلا:

ـ ما رأيكم في السيد عمر ؟

فرد عليه « صالح » وهو منهمك في عمله دون ان يلتفت اليه :

ـ في حاله ... هادىء الطبع .. قليل الكلام ..

فعاود « محمود » الحديث قائلا:

ـ نعم .. نعم في حاله ، ولكن الذي يدهشني ويزيد من دهشتي هو انه يعمل كاتبا على الالة الكاتبة، وطبيعة عمله لا تستلزم اخذ عمل لانجازه في منزله ، فما الداعي لحمله هذه الحقيبة دائما ..

فقلت له :

ـ ربما يضع بداخلها اوراق عمل خارجي لينجزه باجر يسد بعض الالتزامات في المعيشة ..

وساد صمت قصير ما لبث ان قطعه « محمود » قائلا :

ـ ولماذا لا يكون تاجر المخدرات .. لان هذه الحقيبة لا تفارقه لحظة ..

وتعالت اصواتنا تنفي هذه التهمة ، ثم استطرد « صالح » قائلا بعد ان وضع قلمه على الورق، واسند ظهره على الكرسي :

ـ وهل من المنطق او المعقول ان يحضر الى عمله حاملا حقيبة بها مخدرات ؟

ـ نعم جائز .. ربما بعد ان ينتهي من عمله يوزع ما بداخلها على العملاء .. وهناك احتمال اخر ربما يضع بداخلها مسروقات كرزم الورق والكربون وشرائط الماكينة ..

ـ حاشا لله يا اخي .. لا ان هذا الامر بعيد الاحتمال ..

ـ انني لا استبعد شيئا مطلقا..

فاردفت ضاحكا :

ـ ربما يمسك هذه الحقيبة ليدل على انه موظف ذو مركز محترم امام الناس واهل حيه ، او ربما يضع بداخلها كتبا دراسية ، فمن الجائز ان يكون منتسبا لاحدى الكليات ويحضر بهذه الكتب ليذاكر فيها

ثلاث قصص

بقلم رستم كيلاني

في وقت فراغه طامعا ان يحسن حاله ..

فاستطرد «محمود» قائلا :

ـ لا .. لا ياعزيزي انني اشك في ذلك ، فهذه الحقيبة لا تفارقه مطلقا .. كما لا يفتحها طوال اليوم.

واشتد بيننا الجدل حول السيد « عمر » الزميل الجديد وحقيبته وعن السر الدفين الذي يخفيه بداخلها ، ولكننا لم نهتد الى امرها..

ولم تمض شهور قليلة حتى اصبح « عمر » وحقيبته حديث الموظفين في كل لحظة، وفي كل مكان

قصة

يجتمعون فيه ..

حتى جاء ذلك اليوم .. وقبل انصرافنا بدقائق ، وكل منا مشغول بتجهيز اوراقه استعدادا للانصراف، فتح الباب باندفاع ودخل «محمود» صائحا باعلى صوته :

ـ الا تدرون ؟

فقلت له على الفور متسائلا :

ـ بماذا ؟

فقال مجيبا :

ـ ان المدير العام فاجأ « عمر » هذه اللحظة قبل ان يغادر حجرته واراد تفتيش حقيبته وديا بناء على الشائعات التي تطايرت حوله، فامتنع واصر على عدم فتحها ، فحاول بعض زملائه استدراجه ليعترف بما في داخل الحقيبة فرفض واصر على عدم فتحها الا امام المحقق ..

فقاطعه « صالح » قائلا :

ـ يا محمود لا تدع كذبا ..

فبادر « محمود » قائلا:

ـ انني لست كاذبا .. ولا ادعي الكذب .. ان الخبر منتشر في المصلحة وشائع في كل ادارة ..

وفيما هما غارقان في هذا الجدل .. استدعاني المدير العام الى مكتبه وكلفني باجراء التحقيق اللازم فورا مع السيد «عمر» للوصول الى سر هذه الحقيبة ..

واستدعيت السيد «عمر» ورأيته وهو يدخل الحجرة ممسكا بحقيبته وكأنه مسوق الى ساحة الاعدام ،كان الاضطراب ظاهرا على وجهه بشكل غريب ، وخلفه اكثر من موظف ..

وبدات التحقيق معه بسؤاله عن التهم المنسوبة اليه ، فارتبك وظهرت على وجهه كآبة واضحة ، ونكس رأسه ولم يحر جوابا ...

وبعد صمت لم يطل استطرد قائلا في صوت مرتجف مخنوق :

ـ ارجو ان يكون هذا التحقيق بيني وبينك ..

فاضطررت الى اخلاء الحجرة، واعدت عليه السؤال .. فنفاه مؤيدا اقواله بان فتح الحقيبة .. الحقيبة

التي اشتد حولها الجدل بين الموظفين والتي أثارت الشكوك والشبهات، فتحها بيد مرتعشة واطلعني على ما بداخلها ، فاذا هو جهاز طبي يستعين به ليسهل له عملية(التبول) اذ لا يمكنه لمرضه التبول بدونه، وانه يعتبر هذا الامر سرا ، ويخجل ان يبوح به لاحد استحياء منه، لذلك امتنع عن فتحها امام الجميع .. خشية الالسن التي لا ترحم المريض ، وتضر بسمعته ، وتمس كرامته ..

وتلكم القصة الثانية :

الضحية

كان ذلك في يوم من ايام عملي في احد مراكز قرى الصعيد ، مدرسا بالمدرسة الاعدادية .. اتابع لعب وصياح التلاميذ اثناء (الفسحة) حيث رأيت ذلك الصبي ابن اثني عشر عاما ينزوي في ركن قصي من الفناء لا يلعب مع زملائه كما يلعبون ، ولا يصيح كما يصيحون ويضحكون كان يجلس جامدا يتابع لعبهم في حسرة واسى ..

فقمت من جلستي وسرت نحوه ، وما كدت اقترب منه حتى وجدته قد نهض من جلسته ، وقام احتراما لي فربت على كتفه ، واذنت له بالجلوس بجانبي ، وهممت بان أسأله عن سبب هذا الوجوم ولكن خشيت ان اجرح احساسه بكلمة انطق بها عفوا ، ومن خلال حديثي معه وجدته حزينا ، ناقما على الحياة مع صغر سنه وطفولته ..

انطلق جرس المدرسة يجلجل معلنا بداية الحصة، فانصرف التلاميذ الى فصولهم في ضحك وصياح وهو يرقبهم وهم يلهثون بينما هو يسير في هدوء ببطء وتثاقل وكأن لا دخل له بهذه الدنيا مطلقا ويخيل لي انه في سن الستين جامدا لاينطق بحرف واحد ، ليس له صديق يسامره ..

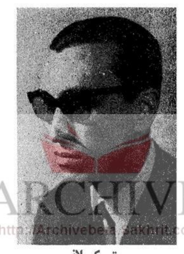
توطدت بيني وبين هذا الصبي صداقة متينة ، كانت اكثر من علاقة تلميذ باستاذه ، ومن خلال تلك الفترة الوجيزة ، فترة الصداقة كنت اسأله عن سبب الغموض الذي يملأ حياته ، وما كان يجب على تساؤلي ..

وفي يوم من الايام وجدته في ركن من المكتبة يبكي في حسرة واسى، فاسرعت نحوه وسألته عن سبب هذا النحيب ، فأجابني :

ــ لقد ضاق صدري يا سيدي.. ولم اعد احتمل اكثر من ذلك ..

ــ لا اعي ما تريد ..

ــ اتعرف يا سيدي لماذا كنت دائما مبتعدا عن زملائي لا اشاركهم في لعبهم وصياحهم لانهم ...



رستم كيلاني

وسكت الصبي ، وعاد الى البكاء، ثم استكمل حديثه قائلا :

ــ لانهم يشيرون الي باصابع ساخرة وهم يقولون لي (ابن الفاجرة) وكانت هذه الكلمات تدوي في اذني كالرعد ، وفي صدري لوعة واسى فكنت انطلق من امامهم ، والدمعة تكاد تخنق انفاسي وفي كل يوم يمر علي تكثر الشائعات،وتترامى الى سمعي الاقاويل فكانت تحز في نفسي يوما بعد يوم ..

ــ وما سبب ذلك الادعاء يا عزيزي ؟

ــ كان والدي يعمل خفيرا خصوصيا للباشمهندس في عزبته التي تقع عند مدخل قريتنا ، كان رجلا طموحا فقد علمني حتى المرحلة الابتدائية وكان يأمل ان ينفق علي حتى اكمل دراستي الجامعية كلها ولكن كنت اجهل ما يخبئه لي القدر في اليوم التالي .. فمرض مرضه الاخير ومات ... واخذت امي تبحث عن عمل .. ولكن ابواب الرزق اغلقت في وجهها .. فلما علم الباشمهندس بحالنا عرض على امي العمل في عزبته مساعدة في معيشتنا لا اكثر ولا اقل ، وتكفل بتربيتي، وادخلني تلك المدرسة لاكمل الطريق الذي خطه والدي قبل مماته .. ولم يرجع بامي التفكير الى شيء كانت قد نسيته وهو ما سيقوله اهل البلد عنها وعن سيدها الاعزب .. واحتسبت هذا الامر امرا عاديا ..

ولم تمض بضعة اشهر على عمل امي في القرية حتى حامت حولها الشائعات واخذ الفلاحون يتناقلون الحديث ، فذاع ان الباشمهندس على علاقة غير شريفة مع امي.. شائعات كريهة يا سيدي وكثر حديث الناس عنها يملأون بها فراغ حياتهم ويجعلونها سلوى لهم ..

واصبح همس اهل البلدة في اذني رعدا ، ولكنني يا سيدي اعلم سلوك امي جيدا ، فاذا كانت كما يدعون ويتقولون كنت قد قتلتها ، ولم ارض لنفسي ان اسير في القرية فتشير الي الاصابع ساخرة ..

وواجهت امي في صراحة تامة بما ترامى الى سمعي ، وبما يشار علي وعلى اثر ذلك امتنعت امي عن الذهاب الى العزبة ، ولكن الاصابع الساخرة لم تمتنع ، وظلت كما هي تلاحقني اينما ذهبت ..

واصبحت بمرور الايام امام اهل القرية موضع الاحتقار ، فاذا رأيت اناسا يقفون امام حانوت اويجلسون على المقهى اطرق في حياء ، واخفض بصري امامهم خشية ان تقع عين منهم علي فيستعيذون بالله مني... لقد اظلمت الدنيا امام عيني ، وبدت الحياة في القرية بالنسبة الينا

ثقيلة قاسية ...

وصمت الصبي واجهش بالبكاء. فأحسست بشيء من الحزن والمرارة من كلماته ، ثم استطرد قائلا في صوت متهدج عميق :

ـ ما من احد احس بآلامي وما من انسان تصور العذاب الذي عانيته طوال هذه الفترة غيرك يا سيدي فأشكرك ولن انسى في يوم ما انك كنت لي بمثابة الاخ الاكبر ..

ومرت الايام ولم يحضر فيها هذا الصبي الى المدرسة وقلقت من اجله ..

وفي يوم عندما دخلت الفصل وجدت مكانه المنزوي ما زال شاغرا كالعادة باحثا عنه بين التلاميذ ، فسألت عنه زملاءه ففوجئت بصياح جميع تلاميذ الفصل يقولون في صوت واحد هز كياني ..

ـ لقد هاجر البلد مع امه ..

وطفرت من عيني دمعة حارة ..

اما القصة الثالثة فهي :

قصة امرأة

كان الله في عونها .. وفي عون زوجها فانها ولود تلد كل تسعة اشهر بالضبط في الوقت الذي تنادي فيه الدولة بتنظيم النسل ..

هكذا انتهى « عزيز » من حديثه بعد ان ابتعد عن النافذة التي كان يطل منها ..

والتفت اليه « فتحي » قائلا بصوته الهادىء :

ـ على من تتحدث ؟

ـ انها سيدة شابة تبدو في الثلاثين من عمرها .. لا اراها الا حاملا ..

ـ ربما كان زوجها محبا للاطفال .. وثريا ...

ـ يجوز .. ولكن كثرة الانجاب بهذا الشكل بلاء .. وبئس البلاء ..

ـ فعلا .. ان كثرة العيال تحرمهم مزايا كثيرة ، فلو ان الانسان له ولد واحد لاحسن تربيته حتى ينشأ مثقفا ثقافة تؤهله الى منصب كبير تفخر به امته وذووه .. اما اذا كان له اثنان لاقتسما ما كان سيصرفه على الواحد ، وهكذا بالتالي تقل نسبة ما ينفق على كل منهما ، فكلما ازداد العدد قل الانفاق عليهم ودفع هؤلاء الاطفال الثمن غاليا عندما يكبرون ، والسبب في ذلك الوالدان.

واعتدل « فؤاد » في جلسته قائلا:

ـ ولكنهم يقولون ان العيال يأتي رزقهم من السماء .. وهم احباب الله .. وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ..

ـ لكن الله سبحانه ميز الانسان بالعقل .. والله حين منحنا هذا العقل انما ميزنا به كي نفكر وندبر امورنا في حدود امكانياتنا .. فلقد توصل العلم الى اكتشاف ادوية لتنظيم النسل ولا ضرر منها ، وهي توجد متوفرة في جميع المستشفيات والصيدليات ..

فقاطعه « فؤاد » صائحا في استنكار :

ـ حاشا لله هذا هو الكفر بعينه .. ان هذه العقاقير تقتل نفسا وقتل النفس حرام ، ان كثرة العيال تزيد بركة في البيت وبهجة لانهم احباب الله ..

ـ بالعكس يا عزيزي ان كثرة العيال تقل البركة .. أرأيت هذه السيدة التي نتحدث عنها ؟؟

ـ لا ..

ـ اذا رأيتها لرثيت لحالها ، انها سيدة شابة ، تسير كل يوم امامنا، تسير وكأنها تحمل اثقال الحياة باكملها على اكتافها وفي احشائها ، اني اتخيلها بهذا المنظر وهي تركب (الاتوبيس) في هذا الزحام المميت الذي لا نتحمله نحن الرجال ، فما بالك وهي سيدة حامل ..

ولم ينطق « فؤاد » بل استطرد « فتحي » قائلا :

ـ هل هي موظفة ؟

ـ يبدو كذلك .. فاني اراها كل يوم تقريبا صباحا وفي ميعاد انصراف الموظفين ..

ـ اذن هذه السيدة الولود تحمل اكثر من طاقتها ، فتأخذ اجازة (وضع) كل سنة عدا اجازاتها الاعتيادية والعارضة ، هذا من جهة .. ومن جهة اخرى فكيف توفق بين عملها ومراعاة صحتها ، وارضاع اطفالها الصغار ، فان هذا ارهاقا لصحتها يحول دون القيام بعملها على الوجه الاكمل ..

في هذه اللحظة دخل احد الزملاء من الحجرة المجاورة كان قد استمع الى طرف من الحديث فقال لهم :

ـ من تلك التي كانت محور حديثكم صباح اليوم .. لانني عهدت منكم في كل يوم قصة عن هذا الموضوع ..

فقال « عزيز » :

ـ الم تشاهد تلك التي تعبر الطريق يوميا في حدود الساعة التاسعة صباحا .. تلك السيدة التي تشاهد وهي منبعجة البطن تسير في تؤدة وانية الخطى كأنما تعب الدنيا بحاله قد انقض عليها..

ـ تقصد ذات النظارة الطبية والتي ترتدي عادة ثوبا ازرق صافي.

فاستطرد « عزيز» متسائلا :

ـ اتعرفها ؟

ـ نعم ان هذه الانسانة اعرفها تماما انها جارتي وانا صديق لزوجها وطالما استمعت الى كثير من مشاكل هذه الاسرة ..

ـ وما هي مشاكلها ..

ـ انها قصة امرأة .. تعبت من كثرة الحمل والولادة .. تعبت من نظرات الناس التي تلاحقها .. في الاتوبيس ، في الشارع ، في العمل ، ولكنكم والناس لا تعرفون الكارثة الكبرى التي تنتابها كل ولادة ، انها تظل في كل مرة بين الحياة والموت، بين اليأس والرجاء ، وينتهي الامر في كل مرة الى نزول الجنين جثة هامدة ، انها تعيش على امل ان تلد طفلا واحدا لا غير .. فيه قوة الحياة .. وبسمة الامل .. وضحكة المستقبل ..

القاهرة — رستم كيلاني



نقـولا يـوسف

عبد الحكيم الجهني

الكاتب ، الشاعر ، الصحفي

بقلم نقولا يوسف

* * *

يعاصرنا اليوم بمدينة الاسكندرية كاتب عربي من شيوخ القلم وشاعر من الرواد المجيدين ، نيف على السبعين ، وانفق من سنيه في خدمة الصحافة العربية والادب العربي اكثر من الاربعين ، كان خلالها يوالي الصحف اليومية بأبحاثه التاريخية وتعليقاته السياسية ، وبآرائه ونقداته الادبية والاجتماعية ، وبالاقاصيص والقصائد الشعرية ، محررا في صحف الاسكندرية غالبا ، وفي صحف القاهرة احيانا ، ورئيسا لتحرير بعضها أحيانا اخرى .. مزاملا مشاهير كتابها ، معاصرا تطوراتها ، وما دار في عهودها من احداث قومية وعالمية وثورات اجتماعية وسياسية ، مؤيدا دائما مسيرة بلاده في طريق النهضة الى ان تقاعد عن العمل ، وقد احتجب جل تلك الصحف ، ولكنه لم يعتزل دنيا الادب ولم يبتعد عن ميادين النشاط الثقافي بالمدينة ، فلم يزل القارىء المطلع والمتحدث المؤرخ المرجع بعينه رصيد ضخم من الذكريات وذخيرة مليئة بالتجارب والمطالعات .. وما برح المشترك في الندوات الادبية، المدعو الى القاء المحاضرات والكلمات ..

غير ان ابحاث الجهني ومقالاته ونقداته وتعليقاته ، ما زالت مبعثرة محجوبة في ثنايا تلك الصحف تنتظر المنقب الجامع لشواردها فتخرج في عدة مجلدات ، وكان صاحبها لا يسعى الى جمعها وطبعها ولعله لم يطبع منها غير رسالة تاريخية موجزة عن « الاسكندرية واخواتها » ظهرت في احدى المناسبات عام ١٩٦٠ وكذلك لم تزل قصائده الشعرية متفرقة لم يلم شملها في ديوان مطبوع ، وان جاء بعض الاصدقاء منذ عهد قريب فاستملوه ما تبقى منها في ذاكرته ، وما عثروا عليه في بعض الصحف والمجلات، واجتمع من ذلك نحوستين قصيدة وبقايا منظومة ومقطوعة ضمها ديوان مخطوط استخرج منه على الالة الكاتبة اربع صور املا في نشره يوما جامعا مستكملا وجعل عنوانه « ارم ذات العماد وقصائد اخرى » ــ هو اسم اولى قصائده وكلها في مجال التأملات الفلسفية والاغراض الوجدانية والعاطفية ، مع قلة من الشعر الوصفي والقصصي نظمها شاعرنا في العشرينيات من هذا القرن ، وفي مرحلة الشباب المزدحمة بالآمال والاحلام ، في قريض عربي مكين .. ثم قدم لهذه المجموعة بكلمة موجزة حملت بعض ذكريات شبابه ومؤثرات جيله في قصائده الشعرية بعامة، بينما بقيت ذكرياته الخاصة الصحفية والسكندرية والتصويرية لمن عرفهم وزاملهم من جموع الادباء ــ مخزونة في رأسه، وقليلها منشور في جرائد عصره .. (١)

وقصة حياة شاعرنا الجهني تسير في مجرى هادىء الصفحة ، نادر الاضطراب ــ بطلها اديب معتكف زاهد ، كثير الحياء عاش مرتزقا من قلم نزيه ، ولم يسع وراء شهرة او مال او جزاء.. فكان لهذا التعفف وهذا الحياء ، ان حشر في زمرة الذين غمطهم التقييم الادبي حقهم ، وخلت صحائف النقد والتراجم من ذكرهم ..وفي هذا المعنى يقول زميله وصديق عمره الشاعر عبد اللطيف النشار في كلمة نشرها بجريدة « السفير » السكندرية (٣ مايو ١٩٦٤):

« عبد الحكيم الجهني شاعر بمعنى الكلمة ، شاعر بالوزن والقافية وشاعر في تصرفاته واعماله . وكأنما يعيش في عالم الاحلام والتأملات ، رقيق في الفاظه مهذب في اخلاقه خجول خفيض الصوت ، لا يغشى المجتمعات، وقد ضاع ديوانه او فقده ــ ولكنه يحفظ اكثر اشعاره. واذا كان الاستاذ الجهني لم يلحق المجد الذي يستحقه لظروفه الخاصة التي حالت دون انتقاله من الاسكندرية التي عشقها وهواها ، فان له انصارا ومريدين ما زالوا يقدرونه ويعزونه ، ويرون فيه شاعرا كبيرا واديبا ممتازا ، وكاتبا قديرا جديرا بكل اعزاز وتقدير ..»

وولد عبد الحكيم عبد الله الجهني في اوائل عام ١٩٠٢ بقرية « جهينة » في صعيد مصر الاوسط ــ هي اليوم

(١) للجهني مقالة عن الشاعر خليل شيبوب (البصير ١٩٥١) ــ ومحاضرة عن « نشاة الصحافة العربية بالاسكندرية » ــ وقدماء الصحافيين ــ (القاها بكلية الآداب ــ ابريل ١٩٧٣) ــ وكلمة عن كاتب هذه السطور (الاديب يناير ١٩٧٠) وشذرات عن شعراء جيله في مقدمة ديوانه ــ وغيرها في الصحف والمجلات ..

مركز من محافظة سوهاج ــ على مقربة من ضفة النيل الغربية ، وعلى تخوم الصحراء بين النخيل والزروع التي تسقيها الترعة السوهاجية ــ وهناك بمصر قرى اخرى تحمل هذا الاسم ولكن هذه اكبرها . وكانت قبيلة جهينة العربية قد نزلت بها في القديم ابان هجراتها من بلاد العرب عن طريق البحر الاحمر ، وعن طريق سيناء ليستقر بعضها في اقليم الشرقية ، والبعض بضواحي القاهرة ، وفي اعماق الصعيد (٢).

وقد ترك موقع هذه القرية بين خضرة الوادي ومحل الصحراء ، اثرا واضحا في نفس شاعرنا الجهني ، ظهر في بعض قصائده حيث يتردد ذكر الصحراء وملهماتها ، وما كان يذاع حولها من اساطير الجن وارواح الفلاة ، وما للفجر والبدر ومشرق الشمس بها من مشاهد ساحرة ومن تلك القصائد : « الى الصحراء » (نشرت بجريدة الاهالي ١٩٢٠) ــ و « السراب » (بجريدة البصير) و«أنين الصخور» (بديوان الاسكندرية ١٩٣٦) ــ مما يضمه ديوانه السالف الذكر ..

ولزم اديبنا مسقط راسه يلهو في ريفه الحالم ، ويتعلم في مدرسته الاولية مبادىء القراءة والكتابة ، ويحفظ القرآن الكريم ، ويستمع الى الحكايات والسير . وكان اول نظمه الشعر كما يقول : « مهاترات صبيانية مع بعض لداته في كتاب القرية متأثرا بالاشعار الهلالية » .. وظل الصبي على هذه الحال حتى عام ١٩١٣ حين ارتحل عن قريته الى الاسكندرية ليلتحق بمعهدها الديني ، تجاوزا عن الازهر بالقاهرة لما وقر في نفوس ذويه من ان التعليم الديني بهذا المعهد السكندري كان يومذاك يفضل التعليم في الازهر نفسه ــ فقد كان معهدا نموذجيا لحركة اصلاح التعليم الازهري الذي دعا اليه الامام محمد عبده حتى وفاته عام ١٩٠٥ ــ واختار لتنفيذها مجموعة من نوابغ تلاميذه منهم الشيخ محمد شاكر والشيخ عبد الله دراز وغيرهما .. وفي هذا المعهد تخرج رهط من كبار علماء الدين تولى اثنان منهم فيما بعد مشيخة الازهر ..

التحق الفتى بالسنة الثانية في هذا المعهد ، وبعد اربع سنوات أتم فيها مرحلة التعليم الابتدائي ، انتقل الى مرحلة التعليم الثانوي .. وكان طالبا مجدا متعطشا الى المعرفة ، والى جانب الكتب الدينية واللغوية ، اخذ يقرأ ما يقع له من ادب قديم وحديث ، كما استمرت محاولاته في نظم الشعر .. وهو يحدثنا في مقدمة ديوانه عن تلك الفترة الباكرة من حياته فيقول :

« .. وكان الشعر ولا يزال البؤرة الحقيقية لوجودي خارجها أعيش بالجهد والتكلف ، وفي دائرتها اعيش مع الاحلام والانغام ... وقد استمرت هذه المهاترات مع بعض زملائي بين طلاب الصفوف الاولى في المعهد الديني السكندري ، الى ان طلب منا استاذ الانشاء في السنة الثالثة الابتدائية ان نصف يوما ممطرا ، فانشأت في ذلك قصيدة ... وكان ذلك خروجا من الشكل المطلوب في كتابة الوصف نثرا . ولكنه لقي تشجيعا من الاستاذ واستحسانا من الطلاب . وكان بداية السير بقدم راسخة في طريق نظم القريض ، على تردد بين المدرسة التقليدية والمدرسة التجديدية .. فقد كنا ايامها (حوالي سنة ١٩١٥) انا وبعض زملاء الدراسة ، عصبة يفضلونني بالعلم وافضلهم بالحلم (التخيل) فأعطوني الزمام في حركة تمرد على المناهج الجامدة والطريقة الواحدة . وكان من ثمرات هذه الحركة اننا تنبهنا في مرحلة مبكرة الى الموجة الجديدة التي تعترض التيارات السائدة في الادب العربي شعرا ونثرا. وكان اول ما قرانا من ذلك رسالة صغيرة للمازني ينقد بها شعر حافظ ابراهيم ، ويورد فيها اسمي العقاد وشكري اللذين لم نكن قد سمعنا بهما من قبل . فسعينا سعينا حتى قرانا لهما وله جل ما نشروا من شعر ونثر . فكانت نقلتنا الى هذه المدرسة الجديدة اكيدة ، وبقيت لنا مع ذلك بعض الخلفيات القديمة في صور من التعبير تختلف باختلاف الموضوعات .. »

وبينما كان شاعرنا الشاب آمنا في معهده ، منصرفا الى الدرس والقراءة ، متأثرا مدرسة التجديد التي أطلق عليها بعضهم « مدرسة الديوان » ــ عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني ــ وقد عبر الى مرحلة التعليم الثانوي ، اذا بالثورة المصرية عام ١٩١٩ ــ تجتاح البلاد من جميع نواحيها ، واذا بطلاب المعاهد جميعا يخرجون مع سائر فئات الشعب في مظاهرات عارمة ... ويشترك شاعرنا في تجمعات الطلاب ومظاهراتهم الوطنية ، ويطاردهم الجنود الانجليز بسلاحهم في الشوارع ، ويعتصم جمع منهم بذلك البناء العتيق برأس التين ، وكان يسمى « سراي المسافرخانة » (أي بيت الضيافة) وهناك تحاصرهم القوات البريطانية وتطلق عليهم الرصاص ، فيستشهد عدد منهم كانوا اول شهداء ثورة ١٩١٩ ــ ويعتقل الباقون ويحملون الى معسكرات الاعتقال بحي « سيدي بشر » ، وكان شاعرنا الجهني بين اولئك المعتقلين ، وظل سجينا شهرا ونصف شهر ...

وخرج الفتى يضرب في خضم الاسكندرية ، مشتت السبيل بين معهد تعطلت فيه الدراسة ، وبين مطالب الحركة الوطنية ، مجردا من مؤهل يخوض به هذا المعترك الكبير ، والاسكندرية يومذاك تجمع بين المكانة التجارية والاقتصادية ، وبين المكانة الثقافية والادبية ، حيث كانت تصدر بها عشرات من الصحف والمجلات المحلية العربية والافرنجية في شتى فروع الفنون والعلوم والاداب .. ولها في المضمار الصحفي تاريخ عريق يعود اليوم الى مئة سنة مضت ، وكان بعض تلك الصحف يعمر طويلا ، والبعض يحتجب ليظهر مكانه صحف اخرى ، والقليل ينتقل الى القاهرة ليبقى راسخا كجريدة الاهرام ، او ليختفي الى الابد .. (٣)

ويتعلق انظار شاعرنا بتلك الدور الآهلة برجال القلم

(٢) انظر مقالة للجهني عن قبيلة جهينة بمجلة «العرب» بالرياض (ج ٢ سنة ٣ في نوفمبر ١٩٦٨) تعليقا على تحقيق صاحبها الاستاذ حمد الجاسر .

ولكن كيف السبيل الى تخطي عتباتها ؟. وكان بينها ثلاث من كبريات هذه الدور الصحفية يصدر من كل منها جريدة عربية يومية منتشرة اقدمها جريدة « البصير » التي انشأها رشيد شميل عام ١٨٩٧ (وعاشت بعده حتى ١٩٦٤) وجريدة « وادي النيل » لصاحبها الصحفي محمد الكلزة وكانت تصدر منذ ١٩٠٨ (وعاشت حتى ١٩٣٦) – ثم « الاهالي » لمنشئها عبد القادر حمزة عام ١٩١٠ (واحتجبت ١٩٢١) . وبشاء القدر ان يرتبط مصير الجهني بهذه الجرائد الثلاث فتحتضنه معظم حياته الصحفية ، وان كان قد شارك قليلا في تحرير ثلاث صحف اخرى صدرت بالاسكندرية تباعا – هي جريدة « الامة » اليومية التي أخرجها عبد اللطيف الصوفاني عام ١٩٢١ وتوقفت عن الصدور ١٩٢٤ – وجريدة « السفير » التي انشأها عبد الرحمن شرف عام ١٩٢٤ وما زالت تصدر الى اليوم ثم جريدة « الثغر » التي اصدرها سليمان فوزي عام ١٩٢٩ ولم يلبث ان نقلها الى القاهرة لتحتجب هناك ...

ووقع اختيار الجهني اول مرة على جريدة « الاهالي » اليومية لعل ذلك ان عباس محمود العقاد كان يومذاك بين محرري هذه الصحيفة وجاء الى الاسكندرية للعمل بها ، وهو من قرأ له الشاب الجهني الكثير من شعره ونثره ، فارسل اليها في اواخر ١٩١٩ – قصيدة بعنوان « يوم العيد » اعجبت العقاد ونشرها ، وكانت اول ما ظهر له من قصائد في الصحف .. فاتبعها بمقالة ادبية رد فيها على نقد العقاد لكتاب « المواكب » لجبران خليل جبران ، ودافع فيها عما وردفي هذا الكتاب من آراءونشرها العقاد ايضا بعد أن ناقشه في رأيه .. وبعد رحيل العقاد عن « الاهالي » ليعمل بالقاهرة ، نشر بها الجهني قصيدة اخرى : « الى الصحراء » ثم قصيدة بعنوان : « الى القيصر في قبره ».. ثم مقالة نقدية ردا على مقال لماكس نردو عن « مستقبل العالم » ثم اخرى عن « شخصية الافراد وشخصية الامم » فلفتت هذه المقالات والقصائد انظار المشرفين على تحرير « الاهالي» وسمحوا له بالعمل معهم والانضمام الى اسرتهم .. وهنا بدأ الجهني طريقه الطويل في مهنة الصحافة والكتابة اليومية الذي سار فيه أكثر من اربعين سنة متصلة ..

وهناك في « الاهالي » لقي الجهني التشجيع والتأييد من زملائه المحررين بها منهم صاحبها عبد القادر حمزة، وعباس محمود العقاد ، وفرح انطون ، ومحمد ابو العز، واحمد سعيد ، والشيخ حسين الجمل .. وانتقل تقديره خارج الجريدة فتلقفه جماعة الادباء السكندريون من معاصريه الشباب الشعراء والكتاب ، وضموه الى منتدياتهم وبخاصة الجماعة التي اطلق عليها النقاد اسم « شعراء الشلال » لترددهم على حديقة الشلالات بالاسكندرية وهم : عبد اللطيف النشار ، وعثمان حلمي، ومحمد مفيد الشوباشي ، وعبد الحميد السنوسي ، وزكريا جزارين ، وحسن فهمي وكانوا يلتفون حول استاذهم الشاعر عبد الرحمن شكري ، ويمكن عدهم بعامة من فروع « مدرسة الديوان » وتمهيدا « لمدرسة أبولو » .. ولقي الجهني من اولئك الادباء الفتيان الرعاية والمودة والتعضيد (٤) كما بدأ تعرفه بادباء كبار آخرين بالاسكندرية : عبد الرحمن شكري، خليل شيبوب، صديق شيبوب ، فليكس فارس ... وغيرهم ممن عقد معهم صداقة وطيدة ...

وهو ان شئت حدثك عن جريدة « الاهالي » هذه فيما يتحدث عن الصحف والصحافة التي عمل بها او عاصرها في احاديثه الخاصة او محاضراته العامة ومما يقول لك ان اسم « الاهالي » ارتبط باسم عبد القادر حمزة الذي انشأها بالاسكندرية (عام ١٩١٠ كما سلف) بتعضيد من بعض شركات النشر ، ولكنها استندت في الدرجة الاولى الى كفاية هذا الصحفي الكبير الذي آثر الصحافة على المحاماة ، وكان ينشر بواكير انتاجه بجريدة لطفي السيد ، واشتهرت مقالاته في « الاهالي » بالهدوء والتركيز والاقتناع ، وكانوا يلقبونها بالعصا لانها لم تكن في الغالب تزيد عن عمود وربع عمود .. ولما قامت الحرب العالمية الاولى كانت « الاهالي » تعاني كغيرها من شحة الورق ومن ويلات الرقابة العسكرية ، ولا تضن مع ذلك بتشجيع المواهب الناشئة . ومن ذلك انها هي التي نشرت بواكير اعمال الفنان الشعبي المعروف بيرم التونسي – وكانت قصائد اجتماعية نقدية لاذعة هاجم فيها المجلس البلدي وسلطات الاحتلال .. ولما فارت البلاد بثورة ١٩١٩ اتخذت الاهالي موقف التشدد في مسائل الزعامة مما اثار حولها الاحتجاج وعرضها لبعض المتاعب، واضطرها الى الاحتجاب سنة ١٩٢١ ونقل عبد القادر حمزه نشاطه الصحفي الى القاهرة ، وناصر حزب « الوفد» ورئيسه سعد زغلول ، واصدر جريدة « البلاغ » اليومية في يناير ١٩٢٣ ثم « البلاغ الاسبوعي » ١٩٢٦ – وعمل معه هناك معظم المحررين في « الاهالي » وعلى رأسهم عباس العقاد ..

ولكن الجهني نقل قلمه الى جريدة «الامة» السكندرية اليومية التي اصدرها عبد اللطيف الصوفاني سنة ١٩٢١ واسند رئاسة تحريرها الى محمد مصطفى الههياوي وهو من المع كتاب المقالة السياسية الحادة ، وجعلها لسان حال الحزب الوطني ،وعمل في تحريرها عدد من رجال الحزب السكندريين ، وعندما تركها الههياوي مالت بسياستها في

---

(٣) انظر « تاريخ الصحافة العربية » لفيليب طرازي ج ٤ –١٩٣٣ وبه اسماء صحف الاسكندرية وعددها بين عامي ١٨٧٣ – ١٩٣٠ – ١٢٨ جريدة و ٨٠ مجلة عربية .

وانظر كتاب « اعلام من الاسكندرية » لنقولا يوسف – ١٩٦٩ – و « نشاة الصحافة العربية بالاسكندرية حتى ١٨٨٢ » لعبد العليم القباني ١٩٧٣ .

(٤) « شعراء الشلالات السكندريون » بمجلة « صوت الشرق » بالقاهرة يوليه ١٩٦٣ – و «عبد اللطيف النشار» (الاديب٩ – ١٩٧٢) – و « عثمان حلمي » (مجلة الكتاب بغداد يناير ١٩٧٠) و « اعلام الاسكندرية » ١٩٦٩ – لنقولا يوسف .

اتجاه « الوفد » وتعرضت للتعطيل الاداري بعض الاحيان، وكان يزامل الجهني في تحريرها احمد خيري سعيد ، وعبد الحميد سالم وزكريا جزارين واميل خوري وغيرهم ... حتى توقفت عن الصدور عام ١٩٢٤.

وكان الجهني قد انتقل في ربيع ١٩٢٣ للتحرير بجريدة « وادي النيل » اليومية المسائية (وكانت تصدر بالاسكندرية منذ عام ١٩٠٨) وبدأ بها صفحة جديدة في حياته الصحفية ، حقق فيها تقدما ماديا وادبيا وصل به في اوائل الثلاثينات الى رئاسة تحرير هذه الجريدة .. وبصحيفة « وادي النيل » امضى الجهني فترة تمتد فيما بين ربيع ١٩٢٣ واخر ديسمبر ١٩٣٦ حينما اضطر صاحبها محمد الكلزة الى وقف اصدارها نهائيا لاسباب مالية ، وكانت قد تخللت هذه السنوات فترتا تعطيل اولاهما عام ١٩١٢ في عهد وزارة محمد سعيد ، والثانية من اواخر ١٩٢٨ الى ربيع ١٩٣٠ في عهد وزارة محمد محمود حين تولى تحريرها الصحفيان محمود عزمي ومحمد توفيق دياب وعارضا سياسته في وقف الحياة الدستورية.

وفي خلال هذه الفترة التي تجاوزت ربع قرن ، انتقلت « وادي النيل » من مجرد جريدة محلية تهتم باحداث المجتمع السكندري الى صحيفة واسعة الانتشار في القطر وخارجه ، قوية الاتصال بالتيارات السياسية التي اتسعت بعد ثورة ١٩١٩ مع ميل الى الاهتمام بالشؤون العربية والاسلامية .. وعلى صفحاتها راح قلم الجهني يجول ويصول في المسائل السياسية المحلية والدولية والشؤون الاجتماعية والادبية ، مزاملا رهطا كبيرا من ارباب الاقلام الذين اشتركوا في تحريرها وقتا طويلا او قصيرا ، منهم ابراهيم المازني ، ومحمد الههياوي ، وتوفيق فرغلي ، وعبد الحميد السنوسي ، ومفيد الشوباشي وعبد اللطيف النشار ، وعبد الحميد سالم ، ومحمد حمدي .. ... كما هاجر اليها باقلامهم وآرائهم في بعض فترات التأزم السياسي بالقاهرة : محمود عزمي ، وتوفيق دياب، واحمد حسين ، وفتحي رضوان ... واستأنست بادباء لم يكونوا مقيدين عليها ولكنهم امدوها بانتاجهم الادبي من امثال : عثمان حلمي ، ويحي حقي ، واحمد الشايب ..

والى جانب ما نشره الجهني في « وادي النيل »من مئات التعليقات السياسية والاجتماعية والمقالات الادبية والنقدية ، فقد نشر ما بين ١٩٢٧ - ١٩٢٨ عددا من القصص القصيرة الهادفة ، ومنها قصص : « البحار العجوز » و « رائدة المستقبل » و « الماشي على الماء » و « المعاشر » وغيرها .. وعندما كان رئيسا لتحرير « وادي النيل » ، كان يكتب كل ثلاثاء مقالة مطولة تعالج موضوعا مستقلا دون اسفاف في الراي او ابتذال الالفاظ .

ومع ذلك فان اشتغاله بالصحافة قد استدرجه الى الانخراط فيها بصورة شغلته عن التفرغ للانتاج الادبي الصافي ، وجعله يكتشف فيما بعد اية خسارة لحقته بسبب انشغاله عن الادب ونظم الشعر بالاعمال الصحفية والاحداث المتغيرة الزائلة .. وهنا يقول :

« ثم اخذتني الصحافة في تيارها فشغلتني عن الشعر بعض الشيء ولكنها لم تكن فيما احسه من نفسي الا شملة ارتديها فوق كياني الشعري ، وانني انما اتفسح بالمقالة ، واتنزه بالتعليقات اليومية في ضاحية غير قصية عن مدينتي الفاضلة ، وقد كان ذلك خدعة نفسية كلفتني كثيرا . واذ راحت الشهور تتلوها الشهور والاعوام ، والصحافة تزداد بي التصاقا وياخذني تيارها الخفي بعيدا عن معاني الشعر وجنات القريض . وقد ساعد هذه الخدعة انني كنت ازامل في صداقة حميمة ، ومعايشة يومية متصلة ، كوكبة ممن كانوا يجمعون بين نظم الشعر وامداد الصحف بما يترجم من قصص اوربي ، ودراسات ادبية وسياسية اذ كان من انسى بهم وقيامي بينهم ان توهمت انني لم ابرح مكاني القديم .. »

وفي الفترة التي تعطلت فيها صحيفة « وادي النيل» (من اواخر ١٩٢٨ حتى ربيع ١٩٣٠) اشتغل الجهني بجريدة « السفير » السكندرية ، ثم بجريدة « الثغر »التي اصدرها سليمان فوزي عام ١٩٢٩ ثم نقلها الى دار صحيفته « الكشكول » بالقاهرة لتحتجب بعد قليل .. فعمل الجهني بالكشكول ، وكانت مقالاته بها تتسم بالطابع الادبي تاركا لزملائه محمد الههياوي وحسين شفيق المصري وغيرهما التحرير السياسي الحزبي ، وكان تحرزه من الكتابة السياسية وقتئذ ناشئا من انه كان مرتبطا بالخط السياسي للوفد على حين ان صحافة سليمان فوزي كانت موالية « لحزب الاحرار الدستوريين » الذين عطلوا«وادي النيل» .

وفي تلك الفترة ايضا اتفق القائمون على دار«الهلال» بالقاهرة مع الجهني ، على ان يكتب مقالات خفيفة لنشرها بمجلتهم « الدنيا المصورة » فأرسل اليهم تحقيقات صحفية منها : سرقة خط الاستحكامات ببلدة مرسى مطروح شمالي مصر ، وكانت انشأته القوات البريطانية في اثناء حرب الحبشة ، ولما ارسل ابحاثا دسمة منها « نشأة الهلال » كرمز وشعار عند بعض الامم ، طالبوه بالخفيف الماتع فكف عن الكتابة .. وجاءت وزارة عدلي يكن الثانية فأعادت « وادي النيل » في ربيع ١٩٣٠ - الى الصدور ، وعاد الجهني للعمل في جريدته العتيدة ، وثابر على الكتابة بها حتى اغلقها صاحبها « محمد الكلزة » في آخر ديسمبر ١٩٣٦ بسبب ما جاءت به الثلاثينيات من متاعب اقتصادية ، وما اصيب به « الكلزة » من علل صحية ،الى توقف الكثير من مشروعاته الاقتصادية الاخرى ، وبذلك انتهى تاريخ صحيفة عربية كبيرة ليتناولها المؤرخون والنقاد بالبحث والدرس ..

وتلطف القدر بالجهني ، اذ طلبه اصحاب جريدة « البصير » اليومية بالاسكندرية للالتحاق بتحريرها في

المكان الذي كان يشغله المرحوم سليم العقاد محررها الرئيسي والمتوفى فجأة ، وهنا ظل شاعرنا يعمل خمسا وعشرين سنة (من ٧ مارس ١٩٣٧ الى اول ابريل ١٩٦٢) ولما راى صاحبا البصير شارل شميل وشقيقه ان يكفا عن اصدارها ، وان يتنازلا عن اسمها لمصلحة محرريها ، بقي الجهني يعمل رئيسا لتحريرها حتى سنة ١٩٦٤ ويعمل معه المرحوم صديق شيبوب عندما الغيت رخصتها واحتجبت نهائيا ، وما برحت مقالات الجهني وابحاثه وتعليقاته وبعض قصائده مستورة في مجلدات هذه الجريدة .

وكانت جريدة « البصير » لم تزل راسخة في مقرها السكندري منذ ان اصدرها المرحوم رشيد شميل في اول سبتمبر ١٨٩٧ ـ وبعد وفاته عام ١٩٢٨ تابر نجله شارل شميل على اصدارها حتى عام ١٩٦٢ حين تركها لمحرريها وحتى اغلقت نهائيا عام ١٩٦٤ ـ فكانت اطول الصحف السكندرية عمرا .. وكانت قد انشئت لتتلاءم مع بيئة الاسكندرية التجارية والصناعية ، وتكفيها حاجتها من ناحية الاخبار العامة وبخاصة اخبار الاسواق والاوراق المالية ، على ان تفرد ابوابا للمقالات الادبية والتاريخية والقصائد الشعرية ، كما كانت صفحتها الادبية تصدر بانتظام كل اسبوع ، وكان فارساها المجليان الشاعر خليل شيبوب وشقيقه الكاتب صديق شيبوب .. واسهم في تحرير « البصير » منذ انشائها موكب من الادباء : امين الحداد ، عبده بدران ، جورج طنوس ، طانيوس عبده ، سليم العقاد ، نجيب هاشم ، الياس فياض ، خليل زينيه ، دكتور ابراهيم شدودي .. كما عاون في تحريرها سبعة من اسرة شميل غير مؤسسها ـ منهم دكتور شبل شميل ... وعلى صفحتها الادبية هذه يستعرض من يشاء البحث ، اسماء العشرات من الادباء الهواة والمحترفين ، وشكولا من مقالاتهم وقصائدهم خلال ٦٧ سنة ـ وهناك يطالعك قلم عبد الحكيم الجهني طوال ربع قرن .. (٥)

وفي الوقت نفسه رأينا الجهني يرأس ايضا تحرير « مجلة الغرفة التجارية لمدينة الاسكندرية » ـ في المدة من اول مارس ١٩٦٣ حتى يوليه ١٩٦٦ ـ وينشر بها الابحاث الجامعة بين التاريخ والاقتصاد .. كما رأيناه في الفترة ما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ ينتدب لتدريس مادة الصحافة في الجامعة الشعبية بالاسكندرية قبل ان تتحول الى « قصر الثقافة » ، ويشترك في ندوات قصر الثقافة ومحاضراته العامة . وكان من احدث محاضراته الصحفية : « نشأة الصحافة العربية بالاسكندرية » التي القاها بكلية الآداب في ابريل ١٩٧٣ ـ كما سلف .

واعتزل الجهني جميع الوظائف عام ١٩٦٦ وخرج الى « المعاش » ـ ولكنه لم يزل مرجعا للباحثين في فن الصحافة ، وفي تاريخ الصحف العربية ، وفي الادب العربي القديم والحديث ، لا يكف عن المطالعات ، وتتبع تطورات الحركة الثقافية الحاضرة ..

اما ديوانه « ارم ذات العماد ـ وقصائد اخرى » المتضمن ستين منظومة ما بين قصيدة كاملة ومقطوعة قصيرة وبقايا قصيدة ، فهو البقية الباقية من ديوانه المفقود ، والذي كان منه ـ كما يقول ـ كراسة ضخمة تضم نحو ثلاثة آلاف بيت ، ولكن هذه الكراسة تعرضت للتلف والضياع في ظروف الهجرة من مدينة الاسكندرية خلال الحرب العالمية الثانية ، ولم يبق منها الا هذه المجموعة المتواضعة وتشمل الكثير من شعر التأملات والخواطر الفلسفية ، وشعر الوجدان والعاطفة ، والشعر الوصفي والقصصي ، وكلها من الشعر المكين الرفيع ، بحيث يصعب اختيار بعض النماذج منه جزافاً ، والمفاضلة بين هذا وذاك اعتباطا ـ وديوان الشاعر عامة طاقة زهر ترى وحدة وتصور مجتمعة ..

مما يقول في « قلب رحيم » :

لقد كنت مخضل الافانين مورقا   ولكن اشجار الانام ذوابل
فقلت لحاني الله ان كنت حاليا   بزهري وان العالمين عواطل
فيا طاعمات الشرى اني لطاعم   ويا ناهلات الصاب اني لناهل
ويا ذابلات الروض قطعني الاسى   عليكن اني مذ ذبلتن ذابل
سقاك الحيا هل كنت الا ذبالة   تنير وحب للورى متكامل
بكيت لان الناس حولك قد بكوا   فقلبك ملتاع وجسمك ناحل
وغيرك تشقيه ابتسامة غيره   ويسعده ان القلوب تواكل

وينشد في قصيدة : « غرد » :

يا بلبلافوق ايك الروض قدسجعا   فجرع السمع من انفاسه جرعا
في هداة السحر الجياش باطنه   بما علا من ضياء الصبح وامتنعا
تنساب اصواته شتى يجاوبها   صدى اذا ما صفا وجداننا انقطعا
غرد وارسل الى الآفاق ما ضمنت   تلك الجوانح مما سر او لذعا
غرد وليس على الفريد من حرج   في ان يكون كليلا حس من سمعا
لقد صدئنا وكنا معدنا عجبا   حلو الرنين ندى الجرس مبتدعا

ويخاطب الصحراء التي جاورت قريته :

لفيك سراج للفؤاد كثير   ومنك انجبار القلب وهو كسير
وددت لو اني بين جنبيك ساكن   اقلب فيك الطرف وهو حسير
فلي ولع بالسافيات غواضبا   ولي شغف بالآل وهو يمور
ليهنك يا وحش الفلاة خلوها   من الناس تشقى آمنا وتدور
رعى الله صحراء تبدت لناظري   فكاد لمرآها الفؤاد يطير
يطير الى حيث السفين متالع   وحيث فسيح الواطئات بحور
الى حيث افناء المفاور جنة   وحيث الظباء العفر ثمة حور

وفي مقطوعة : « انا عارف » :

انا عارف ان الحياة عظيمة   وان شؤون الكون اكبر من شاني
وان مسير الخير والشر فيهما   يعارضني بالنصف طورا وبالغبن
وان مقادير الخليقة تزدري   لعمرك ما توهي المطامع او تبني
ولكنما عذري اذا رحت ثائرا   يقيني اني في الوجود وفي الكون

ومن قصيدة : « زوبعة من الاحلام » :

وزوبعة من الاحلام دارت   برأسي في شيوع وانتشار
ففنت ريحها في كل فج   وسال اتيها في كل غار
فصرت وما احس سوى انهيار   يجاوب وقعه الف انهيار
ولما اقلعت عن ذات صدري   ضراوتها وقرت في قرار
وجدت جوانحي والقلب يهفو   لذكرتها ـ كمقفرة البراري

الاسكندرية   نقولا يوسف

---

(٥) الكتاب التذكاري لجريدة البصير ـ في عيدها الذهبي (١٨٩٨ ـ ١٩٤٨) وبه تراجم موجزة لمحرريها وعرض لتاريخ البلاد في نصف قرن ـ ومقالة للجهني عن « الحركة الوطنية في نصف قرن » .

سيبويه بمناسبة ذكراه

بقلم عيسى ميخايل سابا

* * *

اقف بهذا الحفل الكريم محييا بتحية سلام ومحبة هي بدء كلمتي، لجنة احياء ذكرى نابغة جيله سيبويه، واحييكم ايها السادة الافاضل واسألكم العذر ان شط اللسان او اخطأ.

حدثنا التاريخ قال: ان الفرس والعرب امتان متجاورتان قد اتصل بعضهما بالبعض الاخر قبل الاسلام وبعده، وقد اثرت كل منهما بالاخرى، الا ان اثر العرب بالفرس قبل الاسلام كان ضئيلا جدا، لان امة الفرس كانت اعظم من العرب في الملك والحضارة والعلم، وقد قال المستشرق الالماني «نولدكه» ان الآداب اليونانية لم تمس من حياة الفرس الا ظاهرها ولكن دين العرب وسنتهم نفذت في قلوبهم، وحسن الجوار واثر كل منهما بالاخر سبيل رحب يصل شعبا بشعب متحاب متآلف. وعلى هذا التحاب والتآلف اتناول البحث في ما اتصل بي من خبر سيبويه النابغة الكبير وما اسداه من خدمة جليلة لقواعد اللغة العربية وهو وان كان ايراني الاصل والنسب فنسبته الى العربية تكون بالمنشأ والتربية، انه ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه امام البصريين وحجة النحاة، ومعنى هذا اللقب بالفارسية، على ما جاء في كتب التاريخ والادب، رائحة التفاح وهل اشهى من التفاح واعطر رائحة نتشممها من كتابه الكبير الجامع المانع. ولد في «البيضاء» قرب هذه المدينة العامرة الزاهرة «شيراز» من سلالة فارسية ونشأ في البصرة، وطلب الفقه والحديث الشريف الا انه عدل عنهما للحنة عيبت عليه في مجلس شيخه حماد بن سلمة فخجل وطلب النحو فأخذه عن الخليل بن احمد الفراهيدي ويونس وعيسى بن عمر واخذ اللغة عن الاخفش الاكبر فبرع بهذا العلم وتفوق على ابناء جيله. يشهد على ذلك كتابه الذي وضعه في جزءين وصار كلامه حجة ومرجعا موثقا في النحو وقوله القول الفصل ليس بعده قول ولا جدال، فهو بحق طود اللغة العربية ولسانها الناطق وقلبها الخافق.

وبالاشارة الى ما تقدم كان السبب الذي دعاه الى علم النحو ما روته كتب التراجم يلخص بما يأتي: قيل انه جاء الى حماد المذكور لكتابة الحديث فاستملى منه «ليس من اصحابي احد الا لو شئت لاخذت عليه ليس ابا الدرداء» فقال سيبويه «ليس ابو الدرداء فصاح به حماد» لحنت يا سيبويه انما هذا استثناء» فانقبض سيبويه عند سماعه هذا وقال في نفسه: «والله لاطلبن علما لا يلحنني معه احد» ومضى من فوره الى الخليل وشرع يأخذ عنه وعن يونس وعيسى النحو فقراه واستطلع اسراره حتى اصبح فيه منفردا لا نظير له وامام النحاة غير معارض، فوضع كتابه المشهور، وتنقل لنا الكتب الموثقة لشدة اعجاب القوم به واتفاقهم على مزيته، اطلقوا عليه اسم «الكتاب» اظهارا وتعظيما له واجلالا لقدر صاحبه.

ومن المروي انه كان اذا قيل بالبصرة قرأ فلان الكتاب علم انه كتاب سيبويه، وجاء في كتاب الكامل لابي العباس المبرد: اذا اراد مريد ان يقرأ عليه الكتاب يقول له: «هل ركبت البحر» اقرارا بفضل الكتاب وصاحبه واستصعابا لما فيه، ومن كلام ابي عثمان المازني «من اراد ان يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستحِ» فمن هذا كله نعلم ما وصل اليه هذا النابغة الكبير من اتقان علم النحو وقد اقر له بذلك علماء عصره، فقدموه على من جاء بعده من النحاة بدليل ما تضمنه كتابه الذي لم يسبقه الى مثله احد، ونسب فيه اقوال كل من شيوخه ما قال، بالاعتماد على ابي زيد الانصاري النحوي اللغوي وكان يسميه الثقة، فوقع كتابه هذا موقعا حسنا عند اهل البصرة حتى اصبح تحفة يتسابق الفضلاء الى مهاداته واقتنائه في مكاتبهم، وعن هذا النابغة الحامل علم الخليل واوثق الناس في الحكاية عنه، اخذ جماعة من كبار العلماء اشهرهم ابو الحسن الاخفش وقطرب وعن اهل البصرة اخذ الكوفيون علم النحو واشتغلوا فيه فنبغ فيهم معاذ الهراء اول من استنبط التصريف، وابو جعفر الرواسي. وكتاب سيبويه ما زال باقيا تتداوله ايدي العلماء، وله طبعات متعددة في باريس وبرلين ومصر وكلكته.

وفي الكتاب ثمانمئة وعشرون فصلا يحتوي الجزء الاول منه على الكلم واقسامه والجزء الثاني على ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة وما الى ذلك من الابواب، وهو جامع لكل ما يحتاج اليه طالب النحو، فلم يبق واضعه شاردة ولا واردة الا ذكرها. وهنا لا بد لي من ان انقل مقطعا منه نتعرف به على لغته ونسق الكتابة فيه قال: «... وانما ذكرت لك ثمانية مجار لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة، لما يحدث فيهما العامل، وليس شيء منها الا وهو يزول عنه، وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء. احدث فيه العوامل التي لكل عامل منها ضرب في اللفظ في الحرف وذلك الحرف حرف الاعراب. فالنصب والجر والرفع والجزم لحروف الاعراب، وحروف الاعراب للاسماء المتمكنة وللافعال المضارعة الخ» هذا هو صوغ الكتاب ولغته السلسة الصافية.

وذكرت المراجع انه لما قدم من البصرة الى بغداد

• الكلمة التي القاها الكاتب في ذكرى سيبويه في جامعة شيراز في الشهر الماضي.

الكتابة في لحظة قوة

●

وجـــه خريفـي الصـــدى عـــار كصمـت الراحليـــن
والعيـــن كالنسيـــان يبـ حـر فـــي لهـــاة الظامئين
لا الوجـــه يعنينـــي ولا العينـــان تفتصـب الحنين

كـل البحيـرات اختفت وتحطمت كـــل المرايـــا
وتـداخلـت منـي الملا مـح فـي التقـاطات الشظايا
فالوجـــه مضفـوط وفـــي العينيـــن تحتضـر الحكـايا

وخمشـت وجـــه الارض في كـــل المدائـن والثغــور
فـي الدور فـي الساحات في الطرقـات فـي خفق الصدور
لا الوجــه فـــي المرآة يهـــ ـــزمنـي ولا عبـث الغـــرور

وجهـي الخريفـي انتهـــى سطـرا بتـاريـخ دفيـــن
وتجـــددت كـــل العـــوا لـم وانطـوى النفـم الحزين
وتجمعـــت كـــل المـــرا يـــا فـي وجـوه الآخريـــن

دمشق — سلافة العامري

والكسائي يومئذ يعلم محمد الامين ابن هارون الرشيد وقد جمع بينهما فتناظروا والكسائي كوفي ونعلم ما كان من مشاحنات بين مدرستي البصرة والكوفة بشأن اللغة ونحوها وتصريفها ، وقام الجدال على مسألة شهيرةتعرف بمسألة « الزنبور » وهي ان الكسائي زعم ان العرب تقول : « كنت اظن الزنبور اشد لسعا من النحلة فاذا هو اياها » فقال سيبويه « فاذا هو هي » فتجادلا وتشاحنا كثيرا واخيرا اتفقا على تحكيم اعرابي من البادية لا يشوب كلامه شائبة ، فاستدعي اعرابي ، وعرضت المسألة عليه فقال كما قال سيبويه ، فقيل له انما نريد ان تقول كما قال الكسائي ، قال : ان لساني لا يسبق الا الى الصواب ، واخيرا اجبر ان يقول كما قال الكسائي . فعلم سيبويه ان المجلس تحامل عليه وتعصب للكسائي فخرج من بغداد منقبض الصدر ووجهته « ايران » وفي بلدة « البيضاء » التي ابصر فيها النور كانت وفاته وله من العمر ما يقارب الاربعين ، سنة ٧٦٧ م ١٨٠ هـ وفي هذا التاريخ خلاف .

من عرض ما تقدم نعلم مبلغ ما وصل اليه هذا النابغة بعلم العربية ، وكل من جاء بعده كان عالة عليه وعلى كتابه الذي لم يعرف له غيره ، ومنه استقى المؤلفون وتأدبوا بأدبه ، وقد شرح « الكتاب » واجاد فيه ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وكان اعلم الناس بنحو البصريين كما ان ابا القاسم محمود الزمخشري وضع كتابه المفصل في النحو وكان يقول : ليس في كتاب سيبويه مسالة الا تضمنها كتابي اما نصا واما ضمنا

هذا هو الاثر الذي خلفه نابغة النحو سيبويه لينتفع به من جاء بعده ، وقد سطعت انوار عرفانه على الشرق قاطبة وبعض بلاد الغرب ، وكفى ان تكون له هذه الشهرة الواسعة التي طبقت الافاق ، فبحق وانصاف ، يقام له هذا المهرجان تخليدا لذكراه واقرارا بفضله اجزل الله ثوابه واسكنه فسيح جنانه وابقاكم نخبة الفضل بامن ورغد وسلام تخدمون العلم وتنفعون به دمتم ودام حفلكم الكريم .

عيسى ميخائيل سابا



ايليا حليم حنا

ما الغايـة من الحيـاة ؟

بقلم ايليا حليم حنـا

* * *

رفع طالب الحكمة نظره عن كتابه وهو في حيرة ثم سأل نفسه : لماذا خلقت ؟ عندما خلق الله الانسان لا بد انه كان له غرض عظيم من خلقه .. ليس من المعقول ان خلقنا الله لا لشيء الا لنأكل وننام ونعمل ، فالحيوان يفعل هـذا ايضا ، لقد اعطانا الله عقلا وتفكيرا ، وهـذا يدل عـلى ان غرضه في خلقنا كان لغاية نبيلة .

واتجه طالب الحكمة الى استاذه يسأله : ماالغاية من الحياة ؟ لقد قرات كل ما وصل الى يدي من كتب ولما اهتد الى اجابة محددة واضحة !! وضحـك الاستاذ الحكيم ضحكة اشفاق وهو يرقب تحمس تلميذه وحيرته ثم قال : حتى الان يا بني لا اعرف للانسان غاية واحدة من حياته . انه متعدد الغايات ..

فقال الشاب : اذن يجب ان اتجول في العالم والتقي بالناس فقد اجد عندهم ما عجز الفلاسفة والحكماء عـن معرفته وما لم اجده في الكتب .

وبدأ الشاب رحلته فالتقى بامراة عجوز سألته : اين انت ذاهب ايها الفتى الوسيم ؟ قال : انني اجوس خـلال الارض لاعرف الغاية من الحياة .

قالت العجوز : لست في حاجة ان تضني نفسك في التجوال والابتعاد عن موطنك من اجل هذا ... انه لامـر بسيط ... الا تعرف حتى الان ان (المحبة) هـي الغاية من الحياة ؟!

ولكن هل هذه هي الغاية عند كل الناس ؟ سـأرى بنفسي . وواصل الطالب سيره حتى وصل الى كوخ في ارض قاحلة ورجا صاحبه ان يسمح له بالمبيت ... ولكن صاحب الكوخ قال ان كوخه لا يتسع لمبيت رجل غريب.. فلوح له الطالب بقطعة من النقود فابتسم الرجل وتناولها وافسح له الطريق الى داخل الكوخ .. وسأل الطالـب الرجل : ما غايتك من الحياة ؟ قال : ان اترك في سلام .. لقد عاشرت اناسا كثيرين فوجدت انهم لا يحبـون الا انفسهم ولا يعبأون بالغير بل انهم كثيرا ما يعمدون الـى ايلام غيرهم من اجل منفعة مادية او لمجرد لذة العنـاد والسيطرة ... كلهم وحوش ، نعم وحوش .. ان غايتي في الحياة ان اترك في سلام بعيدا عن انانيتهم وشراستهم . واستأنف الطالب سيره فمر برجل يدفن قطعا ذهبية في حفرة وما ان رأى الطالب حتى استل خنجره وهم بقتله.. فقال له الشاب ابتعد عني يا رجل فانا كما تراني عابـر سبيل اعزل هدفي ان اعرف من الناس ما الغاية مـن حياتهم .

واطمأن الرجل ثم قال : وهل هذهمشكلة ايها الشاب الاحمق ؟ ماذا تكون الغاية من الحياة غير المـال ... ان مجرد احساسي بأنني ذو مال كثير يشعرني بأني قـوي ويجعلني احس بالامان والاطمئنان دائما .

وتركه الطالب وكانت الشمس تنحدر للمغيب فوجد امراة تعفر وجهها بالتراب وقد شقت ملابسها ، وكـانت تلطم خديها وقد بعثرت حولها قطعا ذهبية من النقود ... وتألم الشاب لمنظرها وسألها : على من تنتحبين كـل هذا النحيب ؟ . قالت المراة وهي تولول ... انه ابني وحيدي ... مات ولم ينقذه من المـوت كل ما كنت اجمعه له من مـال ... ومات ولم ينقذه مالي ولم يخفف حتى آلامه .

واخذ الشاب يواسيها وانصرف وهو يقول لنفسه : ترى ما الغاية من الحياة ؟ وعندما داهمه ظلام الليل فـي الطريق رأى كهفا امامه فاسرع اليه ليمضي فيه ليلتـه فوجد زاهدا التمس عنده المأوى فأجابه الى طلبه عن طيب خاطر ، وكان الطالب قد انهكه التجوال فنام حتى الصباح ... وعندما استيقظ اعطاه الزاهد طعاما ، وبعد ان اكل سأل الزاهد عن الغاية من الحياة . قال الزاهد انهـا الحكمة ، فان الحكماء يرثون مجدا والحمقى يحمـلـون هوانا . فسأله الطالب : وما الحكمة ؟

اجاب الزاهد : ان تعمل كل ما هو حق .

سأل الطالب : وما الحق ؟

قال الزاهد : انه ذلك الشيء الذي حاول كل الحكماء والقديسين والفلاسفة ان يعثروا عليه ... عندما اخـرج آدم من الجنة ترك الحق وراءه وعندما عاد ليطلبه وجـد ابوابها موصدة ... ولكن بالزهد نفتح ابواب الجنة ويعود

الحق ويحكم حياتنا ... الحكمة اقتضتني ان اعيش هنا بعيدا عن كل متع الحياة حتى لا تفسد زخارف الدنيا حياتي وتغمض عيني عن الحق .. الزهد هو الطريق الى الحق والحكمة فكما أن الهاوية والهلال لا يشبعان هكذا عينا الانسان لا تشبعان ... وباطل الاباطيل الكل باطل ... الم تقرأ كلام سليمان بن داود : « بنيت لنفسي بيوتا ، غرست لنفسي كروما ، عملت لنفسي جنات وفراديس ، وغرست فيها أشجارا من كل نوع ثمر ،عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنبتة الشجر ، اقتنيت عبيدا وجواري وكان لي ولدان في البيت ،وكانت لي ايضا قنية بقر وغنم اكثر من جميع الذين كانوا في اورشليم قبلي ، جمعت لنفسي ايضا فضة وذهبا وخصوصيات الملوك والبلدان ، اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر ... سيدة وسيدات ... ومهما اشتهته عيناي لم امسكه عنهما ، لم امنع قلبي من كل فرح ، لان قلبي فرح بكل تعبي ثم التفت انا الى كل اعمالي التي عملتها يداي ، والى التعب الذي تعبته في عمله ... فاذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس . »

وتأثر الطالب من كلام الناسك وشكره وانصرف ، وفي الغابة وقع في قبضة عصابة لصوص .. ولما سمع رئيسها قصته تسلى بها ، وقال : ان الغاية من الحياة هي القوة والنقود والمتعة التي تجلبهما ... لا متعة في الدنيا تعدل رؤيتك انسانا يرتعد بين يديك خوفا من قوتك وبطشك .. لقد اخطأ الزاهد في قوله : ان الحق هو غاية الحياة .. الحق شيء يتكلم الناس عنه كثيرا ويخرجونه من حسابهم عند التعامل مع بعضهم البعض .. لقد عانيت من الناس كثيرا قبل ان تكون لي هذه القوة وهذا البطش ... لا تتعب نفسك ايها الشاب وانصحك بالانضمام الينا لتستمتع معنا بكل ما تشتهيه نفسك ... لا تتعب نفسك، انني رجل مجرب عرفت الحياة على حقيقتها .

وانصرف الطالب فالتقى بأمراة تحمل حملا من الحطب على رأسها فاستوقفها ... فقالت له حملي ثقيل يا ولدي .. دعني انصرف ... قال لها قولي لي بربك ما الغاية من الحياة ؟

قالت : لا اعرف لحياتي غاية .. انني اعيش في بؤسي حتى اموت .. ليتني لم اولد .

وسار الطالب حتى وصل الى مدينة عظيمة فقابل رجل دين كرس حياته للصلاة ... سأله عن الغاية من الحياة فابتسم الرجل الطيب ثم قال : انني وانا في مكاني هنا ارى العالم كله يا بني ... لا تتعب نفسك بالتجوال.. الناس يأتون الي يصبون خطاياهم ومتاعبهم في اذني ... ربما لا يمكنوني من اعمق اسرارهم المدفونة في صدورهم ولكن تحت القناع الذي يرفعونه يبدو ان هناك نبعا واحدا تصدر عنه كل رغبات المجتمع البشري هذا النبع هو الخوف من الموت ... لذا فاني ارى ان الغاية من الحياة هي الخلود .

فقال الطالب : وهل الناس يعملون ما يحقق لهم الخلود ؟

قال رجل الدين : يؤسفني يا ولدي ان اقول لك ان تيار الحياة الشديد يجرف الناس ... انهم لا ينكرون ان هناك عالما آخر ، ولكن الحياة الاخرى لا تشغل تفكيرهم كما يشغله رغيف العيش وامور حياتهم اليومية ... انهم في حاجة الى الايمان القوي الذي يجعلهم يتحولون بكامل وعيهم عن انانيتهم وعن انشغالهم بنزواتهم ..

وتعب الشاب من الجولان في الارض .. انه لم يصل الى شيء معين واضح يمكنه ان يقول انه الغاية التي يعمل جميع الناس من اجل تحقيقها .. وبينما هو يجوس خلال غابة وجد عصفورا صغيرا قد وقع في فخ فحرره ... فقال الطير : ماذا يمكنني ان اعمله لك مقابل جميلك ؟

قال الشاب : قل لي انت ايها الطير ، ما الغاية من الحياة ؟ فقد تكون ادرى منا بها !

قال العصفور : واأسفاه ، ان عيني عصفور صغير مثلي لا تريان بعيدا ، وجناحي ليسا قويين لاطير بهما الى العمق في السماء حتى يمكنني ان اجيب مطلبك من هناك . يعز علي ايها الانسان ان تمضي حياتك في البحث عن الغاية من الحياة ... لا تتعب نفسك بالتجوال . ان كنت تريد ان تعرف غايات الناس جميعا فاذهب الى الملاك الذي يجمع الصلوات ... انه هناك عند الغدير الذي تحت سفح الجبل . اذهب اليه تسمع صلوات الناس جميعا وتعرف غاياتهم من الحياة .

وذهب الشاب فوجد الملاك الابيض الوديع واقفا يستقبل الصلوات الاتية اليه ليرفعها الى السماء . تشجع الطالب لانه وجد الملاك وديعا طيبا يبتسم له ... وقال : اتأذن لي يا ملاك الصلاة أن اعرف غاية الانسان من الحياة ؟

قال الملاك : لكل انسان غاية ... اسمع هذه الصلاة من انسان بدائي ... يرفع الصلاة الى آلهته يطلب منها ان تنزل المطر على ارضه ولا تنزله على ارض القبيلة التي تناصب قبيلته العداء . وهذا انسان يطلب من الله ان تنجح صفقته ليضيف الى ملايينه بضعة ملايين اخرى .. وهذه صلاة مظلوم يطلب من الله ان يرفع عنه الظلم وينتقم له من الظالمين ويخزي ويفني طالبي نفسه ... وهذه .. وهذه ...

انها صلوات ذات احجام والوان وعقائد واديان مختلفة ... صلوات بعضها كلمات ، وبعضها افكار ، وبعضها مشاعر ، وبعضها صامت يأتي من اعماق القلب ... انها طلبات وامنيات وغايات مختلفة ... انها تتغير كل يوم في الانسان الواحد ... قد يطلب في الصباح شيئا ويطلب في المساء شيئا غيره . والان ترى هل خرجت بحقيقة عامة عن غاية الناس من الحياة ؟

قال الطالب : لا شيء على الاطلاق اكثر مما رأيته وسمعته في جولتي ... لقد سمعت غايات تأتي كلها من ارض تدور فيها معركة محمومة طاحنة ... وغايات الناس كلها مطالب للجسد والغرائز .. والمطالب الروحية التي سمعتها في كل الصلوات قليلة ضئيلة وهي ايضا ممزوجة بمطالب الجسد !! ولكن قل لي ايها الملاك الوادع: ما الغاية من الحياة كما ارادها الله ؟

ابتسم الملاك ابتسامة لطيفة ثم رفرف بجناحيه وغاب في الفضاء ، وتابعه الشاب بنظره حتى اختفى ، ومن شدة تعبه القى بنفسه على حافة الغدير وراح يتأمل الطبيعة ويفكر بعمق في حياة الانسان ... واذا به يرى شيئا يشبه خيال انسان يتحرك وكأنه بخار ، فصرخ الشاب : ما هذا ؟

لا تخف يا بني ، انا روح انسان فارق ارضكم ، وراعني انك تجري وراء مطلب عسير ... الناس يا بني ، على ارضكم تسيرهم اهواؤهم ونزواتهم ولا يرون للحياة غاية الا ما يرضي نوازعهم ... ولكل منهم غاية مختلفة يسعى اليها ويرى الا غاية للحياة غيرها ... وتنسج للناس غاياتهم من خيوط متعددة : من البيئة التي تنبتهم، والتربية التي تشكلهم ، والافكار التي تلقن لهم ،والظروف التي يوجدون فيها ، بالاضافة الى مآرب فيهم من غرائز وميول . فكيف والامر هذا ، تطلب ان تكون للحياة غاية واحدة عند جميع الناس ؟!

ويسأل الطالب الروح باهتمام بالغ :

ولكن ما الغاية التي من اجلها خلق الله الناس ؟

خلق الله ــ يا بني ــ ابن آدم ليكون انسانا على هذه الارض ... خلقه .. لتكون الارض مكانا جميلا تعمه المحبة والسلام .. خلقه ليتغلب افضل ما فيه على اردأ ما فيه .. خلقه ليعد نفسه لحياة افضل .. خلقه لينمو في انسانيته من الطفولة الى نهاية ايامه .. وانتم الذين تفسدون الجانب الطيب فيه بطرق التربية الخاطئة والقدوة السيئة في بيوتكم وفي دور التعليم عندكم ... انكم الان تدربون نزواتكم واهواءكم ، تدربون الجانب المظلم من غرائزكم وتهملون جانبها الطيب حتى كاد ان يتلاشى ... خلق الله الانسان ليكون انسانا حقا وانتم جعلتم منه وحشا ... اطفالكم يأتون الى هذا العالم أبرياء وانتم الذين تدربونهم على ان يكونوا وحوشا يفترس بعضهم البعض وتسمون هذه الوحشية اسماء زائفة تسمونها كفاحا وتفوقا وقوة وجاها ومجدا ونفوذا ، وجردتم كل هذه المسميات من معانيها الانسانية النبيلة .. قد سخرتم عقولكم التي ميزكم بها اللهعلى سائر مخلوقاته ،سخرتموها لتكونوا اشد فتكًا من الوحوش واكثر ضراوة !! لقد ميز الله ابن آدم وخلقه انسانا ليكون انسانا حقا ، وبدون هذه الانسانية يعيش وحشا وينتقل الى العالم الاخر بوحشيته، فيلقى هنا في جب الوحوش حيث كل ما هنالك قسوة ووحشية وافتراس ... يوضع مع الوحوش امثاله ، وليس مع الودعاء الطيبين لانه عاش ايام الارض مائلا عن انسانيته ضالا طريقها .

والان اذهب يا طالب الحكمة وناد بأعلى صوتك : ايها الناس ، ان الله يريد كل واحد منكم ان يكون انسانا .

ايها المسؤولون عن الانسان في هذه الارض ، يا رجال الدين ويا رجال التربية ، ايها العلماء والادباء والفنانون ، ويا كل من بيدهم الامر ، ان الله يريد منكم ان تربوا الآباء والامهات ليجعلوا من طفلهم انسانا .

اذهب يا طالب الحكمة وعلم الناس ان الغاية من الحياة ان يكون الانسان انسانا حقا .. اذهب وعلمهم ان يصلوا من قلوب مؤمنة مفعمة بحب الحق والخير والجمال والكمال ... علمهم ان يصلوا في محراب الانسانية المقدس ويرتلوا انشودتها في قلوبهم كل لحظات حياتهم ، ولتكن صلاتهم هذه نشيدا يردده ويعمل به اطفالهم منذ نعومة اظفارهم ... علمهم ان يرددوا في اعماقهم هذه الصلاة الصامتة ، ولتكن هذه الصلاة دستورا لانسانيتهم ونورا يكشف كل زيف ، ونارا تحرق كل شائبة حيوانية تتسلل الى قلوبهم وفكرهم .. علمهم ان يصلوا في اعمق اعماقهم هكذا :

يا الله : افتح عيني على نورك وحررني من كل القيود التي تستعبدني ، وخلصني من كل شوائب الانانية وانا اعمل واتعامل مع خلقك .

يا الله : ساعدني ان استخدم عقلي وقلبي للخير والمحبة والسلام للناس ، كل الناس دون ادنى تفرقة .. ساعدني ان اعمل الخير كل الخير وابتعد عن الشر ولا ابرر اخطائي وشروري بأي مبرر ... اللهم اعطني العون لاتغلب على اهواء نفسي واسمو بها فوق كل جانب مظلم من غرائزي وافكاري الجامدة .. ساعدني الا اكون مصدر ضيق او قلق او الم لاحد .. ساعدني ان اكون وترا يصدر عنه كل نغم جميل في قيثارة الانسانية ... اعطني ان اجفف دموع الحزانى والمتألمين واقف الى جوار المظلومين واضمد جراح كل متعب في الحياة .

اللهم اعطني العزيمة ونقاء السريرة ، وايدني بقوة من عندك لاحقق هدفي الانساني الذي هو قمة تعاليمك السماوية .

اللهم ساعدني ان اكون انسانا لاحقق الغاية التي من اجلها خلقتني .

القاهرة — ايليا حليم حنا

هذه الاظافر الحادة تنغرس في امعائي انغراسا ، فتمزقها وتقطعها تقطيعا، واتلوى من الالم .. هذا الالم الظالم العابث بي بقسوة وعنف ، غير العابيء بآهاتي وتنهداتي ودموعي .. ساعات طويلة قضيتها وانا لا اعرف طعم النوم ولا القى الراحة .. الالم يبدأ من اسفل البطن ، ثم يمتد الى جميع الاماكن ، فيتصلب جسمي كله ، واعجز عن اتيان اية حركة . ان اية حركة تكلفني الكثير من المشقة والعذاب والدموع ...

هناك تسمم معوي لحقني ، قال الطبيب ، وجعل القيح ينتشر بسرعة ويصيب المعي والاغشية ، ويصلب اظافره ليعبث بجهازي الهضمي بدون هوادة ولا لين ...

وبدات الابر الطبية تنخر لحمي لمعالجتي ، تارة في الجانب الايسر وتارة في الايمن .. والادوية اشربها ثم اتقيؤها بعد حين ، ويهزني القيء هزا ، ويحاول الطبيب التخفيف عني بواسطة – ابر مسكنة – ولكن مفعولها لا يدوم اكثر من بضع ساعة، ليعود الالم القاسي ويعبث بي كما يشاء ويريد ... دموعي ودموع ابوي الواقفين بجانبي للعناية بي لا تؤثر في هذا الوحش العنيف اي تأثير ... هذا الالم ، ما هو ، ما سببه ؟ انه انذار حسب اقوال الاطباء ليتمكن الانسان من معالجة نفسه في الابان، الحساسية التي تدق ناقوس الخطر، ولكن لماذا يدق بمثل هذا العنف والقوة ، لماذا لا يكون اقل قسوة ؟؟

اصبت بامراض مختلفة عدة مرات ، وبعضها كان اخطر مما اعانيه الان ، وتعذبت وقاسيت، ولكن آلامي كانت محتملة ، تختفي تحت عوامل الادوية المسكنة ، ولكن في هذه المرة ، المسكنات لا تكاد تفعل شيئا ، انها تندحر امام قوة الالم الشديد المتغطرس ...

هل الالام اصناف كالبشر ؟ منها الهادىء اللين ، ومنها العابث المستهتر ، ومنها العاتي المتجبر، وهناك الشديد المتكبر ، ومن يزهو ويبتهج لدى مصائب وعذاب الغير؟..

الهادىء اللين يمس مسا رقيقا، ثم ينسحب نادما مستغفرا، والعابث المستهتر ، ينشب اظفاره ليداعب بها ضحاياه حتى يجهدها ، ويحن يبلغ بها العياء حده الاقصى، يتركها ترتاح وتهدأ قليلا ، ثم يعودلتعذيبها وانهاكها ...

والعاتي المتجبر ، يغرس رؤوس نصاله في اللحم ، في الاماكن غير القاتلة حتى لا يقضي على ضحيته بسرعة ، ويأخذ في تحريك هذه النصال في الكائن المجهد المتألم ...

والشديد المتكبر ، يغمد خنجره، ثم يتوجه لضحية اخرى ، حتى لا يسمع انات المتوجع ، وفي تنقلاته



بقلم ناجية ثامر

من ضحية الى اخرى يمسك الخنجر باصابع مغلفة بقفاز حريري للدلالة على غطرسته واستعلائه ...

اما الذي يزهو ويبتهج لدى توجعات الضحايا، فهو ذلك السادي الذي يتسع شدقه بقهقهة هستيرية ويرتعش بدنه كله بفعل لذة جنونية، حين يرى الاجسام تتلوى امامانظاره، كأفاع يحيط بها سور من لهب ويلسعها لسعا ويشوي جلدها شيا بدون ان تجد مهربا ...

ما هو صنف الالم الذي اصابني

قصة

فجأة ، وجعل جسمي يرتعش بفعل الحمى ، ويتلوى تحت سياط التعذيب المنهك ؟.. هذا الالم ، اهو سادي ام سادر ، ام من النوع المتجبر ؟..

مهما يكن امره ، فلقد اخفضت جناحي ، وطأطأت راسي وركعت، ومددت يدي متوسلة متضرعة ، والدموع تنهار من عيني ...

ايها الالم ، انت قوي شديد...

ايها الالم ، انا ضعيفة منهارة امامك ... ايها الالم ، انني اعترف لك بمقدرة لا حد لها ولا نهاية وبباس عظيم ، يخضع له كل انسان بدون اي تحرز مهما كان شأنه وقوته ومقامه ... اتريدان تجرب عزيمتي؟ هاهي عزيمتي قد انهارت وتفتتت.. هل تطلب امتحان قواي ؟ ان قواي كلها تلاشت وتبعثرت .. لم يبق مني الا جسد منهار ، لا يقدر حتى ان يتحرك ... اتحب ان تشاهد الى اي مدى تصمد النفوس البشرية والعزائم الصلبة امامك ؟... ولكن ها انتذا ترى أنني اصبحت بدون ارادة ولا قوة ... قطعة من لحم وعظم وعصب ودم ، تتطاير خلاياها تحت معولك الحديدي ، ثم تتجمع تحت عبثك الريع وقدرتك الخارقة على ابتكار القهر والاذلال والتعذيب ، لتعود وتتناثرمرة اخرى وثالثة ورابعة ... افلا ترى ، افلا تسمع؟.. انني اقبل قدميك ويديك، وامجد عظمتك وجبروتك ، اطلق سراحي ايها الحاكم الاعظم ...ولكن ها انتذا لا تعي ، ولا تشفق ولا ترحم ...

منذ عدة ايام ، الطبيب يزورني صباح مساء ، منذ ان انتقلت الى العيادة ، واصبح متوجعة تحت مس اصابعه التي تفحصني ..الابر الادوية ، لم تفد ... الالم يعبث وبدك جسمي الضعيف دكا .. لم تبق لي حيلة ولا جهد ... الانسان يعذبني هو ايضا بحجة المعالجة، بالاشعة والفحص والتقطير ، وبثقب

امنية شاعر

●

وددت لو انني عصفور روض — يطالعني الصباح بنور حسن
ويضحك لي ضياء الشمس حبا — فاضحك اذ يزول ظلام حزني
أردد للازاهر يانعات — غناء الصبح باللحن الاغن
واسرح بين اشجار وزهر — خلي البال من هم وشجن
وامرح لاهيا غردا لعوبا — خفيف الروح من غصن لغصن
أقبل بابتهاج ثغر ورد — واسكر اذ يقبلني كاني
وفوق الراسيات اطير حرا — أغني للسماء بديع لحن
أحلق عاليا مرحا طروبا — واسبح في الفضاء نظير جن
واشدو للغيوم مذهبات — بنور الشمس يبسم بالتمني
فليت الله ابدع لي جناحا — لابقى طائرا فرحا يغني
اجوب الجو لا اخشى ضلالا — بقفر راعب كظلام سجن
ولا القى شقاء مدلهما — ولا غما ، فما اقصاه عني
وان حان المغيب رجعت مشوقا — الى وكر سعيد مطمئن
وفيه على فراش من ورود — انام بغير هم ملء جفني

عبد الله صالح

بشرتي عدة مرات في اليوم، ويجبرني على مد ذراعي لحقنة ـ السيروم ـ الطويلة المربوطة في يدي ، والتي لا تفارق عروقي ليلا ولا نهارا ،لتمدني ببعض القوة ...

انا لا استطيع ان آكل ولا ان اتغذى .. انني اتقيأ كل ما يدخل الى حلقي...

الدوران والغثيان ، ونصال الالم التي يدخل رؤوسها في لحمي ويحركها وهو يبتسم زاهيا منتصرا ...

قال الطبيب ، بعد ان استعمل جميع الوسائل بدون جدوى : لا بد من اجراء عملية جراحية ، لا بد من ان يدخل المبضع ليهاجم الالم ويدحره ... هذا الالم الطاغي المستمر ، لن يتقهقر الا بقوة السلاح، وتسييل الدماء القانية ...

جاءت المرضتان لتحملاني على النقالة ، وتدخلاني غرفة العمليات الجراحية ... الطبيب والمرضات والمساعدون كلهم مرتدون اللون الابيض ... لا ترى الا عيونهم التي تبرق من خلال وجوههم المحجبة .

ترى هل اعود الى الحياة بعد اجراء العملية ، ام ان هذه المشاهد ستكون الاخيرة في حياتي التي لم تبلغ الا اربعا وعشرين سنة .. دروسي واجازتي التي كنت استعد لها ، وابواي اللذان ينتظران في الغرفة المجاورة ، وقد ضعفا وهزلا واصفر وجهاهما في هذه الايام القليلة ..

وخطيبي الذي يدرس في بلد بعيد ، ولم يسمع عن مرضي حتى لا يهلع للخبر ...

المخدر يسري في عروقي ، وعيون المحيطين بي تبرق ، كأنها عيون الغيلان التي في الاساطير ، ونور المصباح الضخم مسلط علي ...هل سيقدر مبضع الجراح على جذر الالم والعودة بي الى الحياة ، هل سأفتح عيني بعد قليل واشعر بان الالم قد اندحر .. ام ان الالم لن ينقهر الا بانطفاء حياتي ؟.. هل سأستطيع ان احرر رسالة طويلة جدا لخطيبي اذكر له فيها ما قاسيت بعد زوال الالم، ام؟.. الاف من النمال تسري في عروقي ، العيون المحيطة بي تدور بسرعة هائلة .. يا الله ، ما الذها راحة .. هل هي الراحة الكبرى ، ام اني سأعود الى الحياة مرة اخرى؟ ام ؟ .....

باردو ـ تونس — **ناجية ثامر**



١ ـ دراسات تاريخية عن اصل العرب وحضارتهم

٢ ـ قلعة طراودة التاريخية

تأليف الدكتور محمد معروف الدواليبي

قرأت هذين الكتابين اللذين تفضل الاخ الصديق الدكتور محمد معروف الدواليبي باهدائهما الي ، في يوم واحد ذلك لانهما غاية في الوجازة ، وعلى ضؤولة حجمهما وقلة صفحاتهما فان مادتهما دسماء ، وربنفحات من طيوب تعبق بها جـواء فساح !

ورحت وذهني فور الانتهاء من قراءتهما ، تتساءل : هذه الحقائق التي نقر عنها وتوثق فيها وجلاها الدكتور الدواليبي لم لا تنتشر في كل صقع عربي ؟ ولست استحي من الحق حين اعترف بان المؤلف قـد رفد معارفي التاريخية بحقائق وآراء لم اكن بها عليما . واني لاذكر ان حديثا دار بيني وبين الدكتور الدواليبي حول اصـل « الفلسطينيين » القدامى ذهب فيه صديقي الى انهم فريق من الكنعانيين .. وانهم هم المحاربون الجبارون الذين اشار اليهم القرآن الكريم ، وانهم هـم العمالقة الذين ذكرهم التاريخ ، وكان هذا يغايـر ما كان مستقرا في ذهني وما اوردته في كتابي « القضية الفلسطينية » مستندا الى مراجـع تاريخية تواتر فيها القول انهم من الايجيين الكريتيين المهاجـريـن ، وغدوت الان أرى ان تصحيح هذا الخطأ واجب قومي .

كتاب « الدراسات التاريخية عن اصل العرب » محشو بالفـوائـد الطريفة : ففبد شمس هو باني مدينة بابليون باسم ابنه بابليون الذي خلفه واليا على مصر .. والخط الذي وضعه المعينيون هو اقدم مـن الخط الفينيقي الذي هو اصل الحروف الهجائية الرومانية واليونانية، والبلاد العربية السعيدة ترجمة كلمة اليمن ، واليونان حين سمـوا عاصمة الانباط بترا انما ترجموا اسمها العربي لقديم : سلع وسالع اي الصخر ، وقد سماها العرب كذلك الرقيم من الرقم اي الكتابـة لكثرة نقوشها ، وقد دخلت حين ضعفها في نفوذ الرومان في عهـد تراجان (١٠٦ ق.م.) اطلقوا عليها « المقاطعة العربية » Provincia Arabia والفينيقيون العرب هم الذين وهبوا بريطانيا اسمها هـذا وهو اسم معدن الرصاص المتوافر فيها . والشعب الايتروسكي فيايطاليا هو فينيقي كنعاني عربي .

والكتاب يفسر لك سر التقارب في مظاهر الحضارات القديمـة في مصر والعراق وبلاد الشام ويقنعك بان جنوبي شبه جزيرة العـرب في اليمن السعيدة ، هو المهد الاصلي لهذه الحضارات والشعـوب ، « فهي هناك الحضارة الام » ومن ثم كانت تلك الهجرات العربية القديمة التاريخية وما قبل التاريخ ، تلك التي امتدت الى افريقية الشماليـة وايطالية واسبانية وفرنسة وايرلاندة وبلاد الشام .. ويحدثك عن نظرية البحاثة الايطالي كيتاني حول جنة عـدن وكونها داخـل بـلاد العـرب الكثيرة الامطار والانهار والاشجار !

ويجول المؤلف في الحديث عن كلمة « العرب » ويفند مزاعـم العبرانيين ، وبنصوص من توراتهم ، كونها تعني الصحراء والجفاف والفقر .

ولعل فصل « العرب والسيد المسيـح» من اطرف بحوث المؤلف ولاسيما حديثه عـن دولة الاباجرة العربية الآرامية في الرهـا (اورفة اليوم) ودورها بين الروم والفرس وعلاقتها بالدعوة المسيحية وقيام اول طائفـة مسيحية تمتعت بدولة وسلطان وعرفـت فيما بعد من قبل اليونان بالطائفة السريانية ، « وبهذا كانت دولة الاباجرة العربيـة اول دولة عطفت على دعوة السيد المسيح وآمنت به ».

اما « قلعة طروادة » فعصارة دراسات برهنت على كونها عربيـة ترجع في اصولها الى الفينيقيين ، اجداد الكنعانيين ، واني اعتـرف بانني ما كنت ادري الا بعد قراءة هذا الكتيب « ان الطروادبين كانوا قبل الفينيقيين بنحو من الف سنة عمالقة البحار يصعدون في البحر الاسود ويتخذون منه دربا الى اعالي الدانوب في اوروبة الوسطى ثم يهبطون في البحر حتى مدينة صور » وانهم تجار ومقاتلة وعباقرة صناعات معدنيـة !

وناهيك بحديث المؤلف عن تأثير طروادة في حضارة البلقان بمـا فيها اليونان بداعة وبراعة .. و « طروادة لم تكن الا محطة بحريـة ومنطلقا تجاريا وقلعة محصنة منيعة تمد التجار الفينيقيين في رحـلاتهم البعيدة المدى بكل ما يحتاجون اليه من قوة وحماية وخبرة وارشاد.. حتى اصبحوا سادة البحار وامراء الملاحة من طروادة النيل الى طروادة الدردنيل الى بوهيمية على الدانوب ، ومن صور واوغاريت وطروادة الى قرطاجة ونهر التيبرفي ايطالية ، ومن ايطالية الى مرسيلية واسبانية فالى الاطلانطيق فلوندرة .. ومن الطروادتين كذلك الى طروادة نهر السين ومرابع باريس »

ولي ملحوظات هامشية قد لا تتناول صميم الموضوع فقد وددت لو ان المؤلف حين قال ان التبابعة اليمنيين هم الذين اقاموا سد الصـين جاءنا بالبرهان واحالنا على الاسناد .. ووددت لو قال لمصلحتها بدلا من صالحها ولو انه قال الاهرام بدلا من الاهرامات لان الاهرام جمع الهـرم ولو قال : اعتذر عن عدم المجيء بدلا من اعتذر عن المجيء .

وختام القول : حسب الكتابين ان يكونا باعثين على العمل لتصحيح التاريخ وتنقيته من كثير من اغاليط (لا أغلاط) المستشرقين اليهـود وانه يبث الايمان بالعربية والاعتزاز بها « دون انانية حمقاء كأنانـيـة الاسرائيليين في التاريخ ودون بعث الروح العنصرية البغيضة ، وقولنـا لبني قومنا ، كنتم خير امة اخرجت للناس انما يعني به خير امة اخرجت لاجل الناس ولخير الناس .. وليس في ماضي العرب ما يجعلهم غـير قادرين على قيادة العالم من جديد بعد ان قادوه خلال مرحلتين طويلتين.. بل هناك ما يوجب عليهم ان يملأوا الفراغ الذي تركه ضعفهم خـلال بضعة قرون .. وان عودة العرب الى القيادة ضرورة انسانية فضلا عن انهـا ضرورة قومية . »

اكرم زعيتر

•

أغـاني ترقيص الاطفال عند العرب

تأليف احمد ابو سعد ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات دار العلم للمـلايين

كتاب جديد للشاعر الباحث احمد ابو سعد يتناول موضوعا طريفا هـو الاغاني التي شاعت عند العرب الاوائل ، اي في العصرين الجـاهلـي

والاموي ، في ترقيص اطفالهم وهدهدتهم .

الاغاني الفولكلورية هي التي حفظت وتنوقلت من جيل الى جيل ولم يعرف واضعها . اما الاغاني التي جمعها المؤلف فمعظمها منسوب الى اشخاص وردت اسماؤهم في المصادر العربية نظير « محاضرات الادباء» « المستطرف » ، « بلاغات النساء » ، « الاغاني » ، » الامالي »، « العقد الفريد » ، « محاسن الاراجيز » وغيرها .

ولا نستطيع الجزم بان الاشخاص الذين نسبت اليهم هذه الاغاني كانوا هم واضعيها او مقتبسيها ، الاحيث وردت اشارات صريحة الى الظرف الذي قيلت فيه الاغنية . مثلا اغنية جرير في ابنه بلال

ان بلالا لم تسنه امه
لم يتناسب خاله وعمه
يشفي الصداع ريحه وشمه

هذه الاغنية ثابتة النسبة الى جرير بدليل اشارتها الى كون ام ولده اعجمية الاصل . وهذه النسبة تخرجها من نطاق الفولكلور وكذلك كل اغنية ثابتة النسبة الى احد الشعراء.

يذكر المؤلف في المقدمة ان اثنين من الباحثين سبقاه الى معالجة الموضوع لكن في كل من كتابيهما نقصا حاول هو ان يسده في كتابه الذي يلتزم اصول البحث العلمي . فالمقدمة تحدد هدف الكتاب ومنهجيته تشير الى مصادره وتقسمها الى اولية وثانوية ، وتعلن رغبة المؤلف في ان يجعل منه « اسهاما منهجيا في محيط الدراسة الانتروبولوجية والاتنولوجية والتراث الشعبي او الفولكلور ».

من محاسن الكتاب احتواؤه فصلا في موضوع « الغناء للاطفال عند الشعوب »، يعلل فيه هذه الظاهرة العالمية ويشير الى التشابه الكبير بين الاغاني التي تتناول هذا الموضوع والمعاني المشتركة الواردة على السن الاباء والامهات في جميع انحاء العالم ، مما يدعونا الى موافقة كارل يونغ على وجود ذاكرة عالمية ينهل من معينها جميع البشر . واذا رفضنا التسليم بوجود هذه الذاكرة فعلا ، لا يسعنا الا الاقرار بتماثل المشاعر البشرية ووحدتها . فدراسة الموضوع من ناحيته العالمية ، كما تقول اينا غرافيوس ، رئيسة الرابطة الدولية للاغاني الشعبية ، « وسيلة تعارف وتقارب بين الامم لكي تحلق على متن الاغاني فوق الحدود والعقبات فتتصافح ويشد بعضها على ايدي البعض الاخر ».

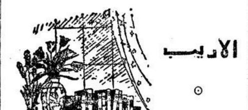
قسم المؤلف المواد التي جمعها الى اغاني ترقيص الذكور واغاني ترقيص الاناث . اثبت منها ما امكنه جمعه في هذين البابين . وصنف الاغاني في كل منهما حسب موضوعاتها الفرعية . ثم بسط في الفصل التالي خصائص الاغاني من حيث دلالتها على المجتمع ، « لان الاغاني روح الشعب وصورة لحياته الواقعية اليومية وهي اكثر صدعا واكثر تعبيرا وواقعية من التي تصورها اشعار المداحين والمتزلفين في قصور الخلفاء والوجهاء . لانها متولدة تلقائيا من واقع الشعب فلا صنعة فيها ولا طلاء.

ان كثيرا من تقاليد العرب ومعتقداتهم تبرز بصدق ووضوح في هذه الاغاني . من ذلك عادة تفضيل الذكور على الاناث واعتبار ولادة البنت مصيبة . واستعمال التعاويذ والتمائم والحجب لوقاية الولد من العين، مما لا يزال شائعا في عصرنا في الاوساط المتخلفة . وهناك عادات المفاخرة بالاصل وبالضيافة واشارة الى الصفات الخلقية التي كانوا يعتزون بها والى مقاييس الجمال التي لقيت استحسانا عندهم .

« فالادب الشعبي مصدر مهم للتاريخ وللوقوف على احوال الناس وانماط الحياة وطرقها ».

اما القيمة الفنية او الجمالية لهذا النوع من الشعر فيقتضب المؤلف في معالجتها لانها تدل على صنعة بدائية واسلوب مرتجل . الا ان جميعها او معظمها من بحر الرجز المتميز بالسرعة والحركة ، الكثير الشيوع في اغاني الصيد والمتح والحرب والترقيص .

يذكر صاحب الكتاب انه لم يصلنا شيء عن الحان هذه الاغاني وموسيقاها اذ لم تدون لها علامات موسيقية ، لكنه يرجح ان الحانها كانت « تقوم على اساس من الايقاع الفطري وانها اخذت على مر الايام



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

صورة تلاحين بدائية ». وان دراسة جادة متخصصة للاغاني الشعبية في بقعة معزولة من بقاع الجزيرة في وقتنا الحاضر ربما تمكننا من التوصل الى معرفة صورة الاداء الموسيقي لهذه الاغاني واستنباط الانغام الاصيلة التي تحدرت منها الانغام الحاضرة .

لغة هذه الاغاني اكثر تحررا من اللغة الادبية فهي تحاكي لغة الحديث ويتضح لنا تأثرها ببيئة البداوة وطبيعة الصحراء الخشنة الفطرية .

اخيرا يجدر التنويه بوفرة الوقت والجهد اللذين بذلهما المؤلف في استنفاد المصادر والمعلومات عن موضوع ضيق محدود كما لا تفوتنا الاشارة الى عناية دار العلم للملايين بحسن اخراج الكتاب .

الدامور ـ لبنان **روز غريب**

•

علم المكتبات ـ الادارة والتنظيم

اعداد وتاليف الدكتور عبد الله انيس الطباع ، مجاز في علم المكتبات من مدريد ـ ٣٣٤ صفحة مع صور ورسوم ـ منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣

قبل التعريف بهذا الكتاب الذي يعد احدث ما ظهر في علم المكتبات ، في العالم العربي . لا بد لنا من كلمة نوطيء بها لنشأة علم المكتبات الحديث، وكلمة عابرة حول صاحب هذا الكتاب .

علم المكتبات وفن ادارتها ، علم باصول حديث النشأة نسبيا في مفهومه الحديث ، مع ان الحضارة الشرقية عرفت المكتبات ، في صور شتى ، منذ اقدم العصور ، في مصر الفرعونية والعراق وبلاد الاناضول وفينيقية وسورية . برز هذا العلم وفرض نفسه في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، نتيجة حتمية للنهضة الصناعية والعلمية والتقنية التي استشرت في الغرب عامة والدول الصناعية الكبرى والولايات المتحدة الاميركية خاصة ، حيث اخذت تنشأ المكتبات ، على اختلاف درجاتها ومستوياتها وتتكاثر كالفطر ، وذلك كمرضع للثقافة العامة في البلاد، وخدمة للبحث العلمي وللمصطلين باسبابه . ولم يمض القليل حتى شعر المسؤولون عن تطور هذه المؤسسات وتطويرها ، بضرورة ايلاءسداتها وادارتها الى اناس يتمتعون بثقافة معرقة وباعداد فني ومهني مسلكي مقرون بالخبرة والتجربة ، وفاقا لبرامج ومناهج محددة ، تختلف كما ونوعا ، باختلاف مستويات هذه المؤسسات ، كما حدا هذا التطور بالمسؤولين الى انشاء معاهد خاصة تعنى بتهيئة منهجية تقنية للقائمين على امرها .

وقد لحق ركب الحضارة في الشرق العربي بهذا التطور الذي عرفه عالم المكتبات في الغرب ، فاشتدت الحاجة الى انشاء معهد او معاهد، في الشرق العربي، تتولى اعداد مكتبيين فنيين ، يتولون ، بعلمواصول، مقدرات المكتبات القائمة فيه او ستقوم لحاقا ، من اهلية او جامعية او بلدية . وقد كنا اول من طالب ، في العالم العربي ، بانشاء مثل هذا المعهد لتخريج المكتبيين العرب الاكفاء ، وذلك في بحث لنا نشرته مجلة « الاديب » الغراء في عددها الصادر يناير ١٩٤٧ (مجلد ١٦) صفحة ٥٤ ـ ٥٩ ، كما حددنا لهذا المعهد اهم المواد التي يجب ان يدرسها ، والعلوم المساعدة التي يجب تدريسها كالببليوغرافيا العامة والخطاطة العربية ، وتاريخ الطباعة العربية وعلم النمينات العربية والاسلامية ،وعلم نقد النصوص . واقترحنا ان يقوم هذا المعهد الذي طالبنا بانشائه، في مصر نفسها ، اكثر الدول العربية ، اذ ذاك ، طاقة علميةوثقافية ومالية.

وقد اعدنا نشر هذا البحث في كتابنا : « دليل الاعارب الى علم الكتب وفن المكاتب » الذي صدر عام ١٩٤٧ (صفحة ٢٠٩ ـ ٢١٩) فكان اول كتاب يصدر في العالم العربي حول علم المكتبات وفن ادارتها .

بعد هذا ، لنعد الى التعريف بالكتاب وبمؤلفه .

مؤلف الكتاب هو الدكتور عبدالله انيس الطباع ، وهو اديب لبناني ثقيف عليم ، يحسن العربية والفرنسية والاسبانية ويجيدها . ولد في بيروت ، في اسرة حضنت العلم والادب والكشفية وفي بيروت تلقى دراسته الابتدائية والتكميلية ، ودرس في المدرسة الانكليزية وكلية المقاصد الخيرية الاسلامية ، وانهى دراسته الثانوية في دمشق ونالمنها شهادة التجهيز ، كما تلقى دراسته الجامعية في معهد الاداب الشرقية، وحصل على ليسانس في الفلسفة والاداب ، من جامعة مدريد ودكتوراه دولة في الفلسفة والاداب ، من الحكومة الاسبانية . تولى امانة دار الكتب اللبنانية بعد احالة السيد واصف بارودي ، مديرها السابق على التقاعد ، فينوار ١٩٦١ .

والدكتور الطباع ، مؤلف ثابت القدم في التاليف والتحقيق والاحياء العلمي وضع عددا من الكتب المهمة ، منها : الشعراء الاعلام ، بيروت ١٩٤٩ ، والحطيئة شاعر من عبقر ، بيروت ١٩٥٥ وشاعر النبي حسان بن ثابت الانصاري ، بيروت ، ١٩٥٦ ـ والحب والغزل بين الجاهلية والاسلام ، بيروت ، ١٩٥٧ .

اما في مجال التحقيق العلمي ، فقد حقق الكتب التالية : تاريخ فتوح البلدان ، للبلاذري بيروت ، ١٩٥٨ ـ وتاريخ افتتاح الاندلس، لابن القوطية القرطبي ، بيروت ١٩٥٩ ـ والحلة السيراء في تراجم الامراء والشعراء لابن الابار الاندلسي ، وهي رسالته الجامعية وغير ذلك .

اما كتابه الجديد « علم المكتبات » ، فهو احدث كتاب حول علم المكتبات صدر في العالم العربي ، ومن اتمها تصنيفا ، على ايجازووضوح ومنهجه ، وضعه تلبية للمنهج الرسمي الذي اعدته المديرية العامة للتعليم المهني والتقني في وزارة التربية والفنون الجميلة في لبنان فكان هذا المنهج المرشد الذي ساعد المؤلف على جمع مواد كتابه وترتيبها في قسمين رئيسيين ، الاول : تاريخي نظري تطبيقي ، والثاني : اداري تنظيمي . ياتي القسم الاول في ثمانية فصول ، تعالج تباعا بايجاز ، المكتبة ونشأتها ـ تنظيم المكتبة وادارتها ـ اختيار الكتب ووسائل المعرفة (ولعله يقصد : كتب المراجع) ترتيب مجموعة الكتب ـ مختلف انواع الفهارس ـ نظام الاعارة ـ جردة الكتب صيانة الكتب وحفظها ـ مشاكل الادارة .

اما القسم الثاني الذي يدور حول ابنية المكتبة وتأثيثها ، فيضم عشرة فصول هو الاخر تتناول لحاقا ، بالعرض والتبسيط ، الموضوعات التالية : المكتبة في التاريخ ـ انواع المكتبات ـ مكتبات مدار السرطان ـ ابنية المكتبة وخصائصها العامة ـ التدفئة والتبريد ـ الهدوء والنظام في المكتبة ـ الاضاءة ـ اثاث المكتبة ـ مطالب اخرى ـ وختم المؤلف كتابه بذكر اهم المراجع التي اعتمد عليها من عربية وفرنجية (صفحة ٣١٣ ـ ٣٢٣) وفهرس الموضوعات .

على هذا النحو تأتي هيكلة كتاب « علم المكتبات » والموضوعات التي ساقها المؤلف وقد عالجها ببراعة وايجاز ووضوح ، مصردا المعلومات الفنية بحيث يسهل استمراؤها على طالب هذا العلم ويهضمها ، مقدما له زبدة المعلومات الاولية التي ترتكز عليها مادة الموضوعات التي عالجها . وقد بدر هنا وهنالك بعض اغلاط وهنات استدركها المؤلف الكريم وصوبها في الصفحتين ٣٠٩ ـ ٣١٠ ، الا انه فاته على ما يبدو تصويب عدد آخر . وكنا نتمنى على المؤلف ان يلحق بالكتاب ، وهو في عالم المكتبات ، قائمة منتقاة باهم المكتبات الكبرى في الشرق العربي ، من وطنية وجامعية وبلدية ، وهو أمر ليس بالعسير عليه قط اذ يكفي ان يرجع الى كتابنا الموضوع بالفرنسية بعنوان : « دليل مكتبات الشرقين الادنى والاوسط » الذي نشرته الاونسكو عام ١٩٥١ ـ ولعله فاعل ذلك في طبعة لاحقة .

ومما لا شك فيه قط ان هذا الكتاب هو من احسن ما صدر في المكتبة العربية من المؤلفات في علم المكتبات يستحق عليه صاحبه التهنئة والثناء وهو بذلك خليق .

يوسف اسعد داغر
الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي

•

من مكة .. مع التحيات

مجموعة قصص قصيرة ـ تاليف القاص السعودي لقمان يونس ـ (؟) صفحة ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت

يقول الاستاذ لقمان يونس في تقديم كتابه : « من مكة مع التحيـات » :

« ان هذه القصص هي في الواقع مقالات صحفية كنت ارمي من وراء نشرها الى معالجة بعض مشاكلنا الاجتماعية او على الاقل الى تفتيح العيون الى وجودها البشع . وقد لجات الى القالب القصصي لاتمكن بواسطة ما ادير من الحوار بين ابطاله من ممارسة مزيد من الحرية في التعبير...... ولن يسوءني لو ينبري ناقد نزيه فيصيح باعلى صوته : ما هذا الضحك على الذقون ؟ أهذه قصة يا عالم ؟ لقد والله هزلت ؟ » .

وبهذه الدعاية الرائعة سبق الكاتب الفاضل كل ناقد يريد ان يناقشه في القالب . ولكن منذا الذي يجرؤ ان يفرض قالبا محددا للقصة القصيرة ؟ ان القصة القصيرة هي في القالب وليدة الصحافة ، وقبل ان يكتمل لها شكل متميز عن شكل المقالة الصحفية وجد كتاب عظام استخدموا الاسلوب القصصي في مقالاتهم ، وتركوا في هذا النوع من الكتابة اعمالا فنية ممتازة لا تزال تقرا بلذة واعجاب بعد اكثر من مائتين من السنين . واعني اعمال اساتذة فن المقال الانجليزي بالذات ، اديسون وستيل ولام . فلا عجب اذا جمع الاستاذ لقمان يونس هذه المقالات الصحفية وقدمها لنا تحت الاسم الذي اصبح شائعا هذه الايام : اسم القصص . وسواء اسماها قصصا ام مقالات فان الناقد المنصف لا ينبغي له ان يقيسها بمقاييس القصة القصيرة كما يكتبها فلان او فلان من اقطاب هذا الفن ـ وهي مقاييس تختلف اختلافا بعيدا بين كل فلان وفلان ـ بل يجب ان يحكم على قيمتها بمقياس واحد لا يختلف ، وهو ملاءمة الشكل للمضمون .

واذا كان الكاتب الفاضل قد اختار الاسلوب القصصي ـ كما صرح في مقدمته ـ لانه يتيح له مزيدا من الحرية في معالجة بعض مشكلات مجتمعه ، اكثر من الاسلوب المنطقي ـ اسلوب المقدمات والنتائج ـ الذي يسمى احيانا اسلوب العرض ، فلست اشك انه قد وفق الى الملاءمة بين الشكل والمضمون ، لان اسلوب القصص ياخذك بعيدا عن المجردات الى ارض الواقع ، واقعك وواقع اهلك وجيرانك واصدقائك ، وهو من ثم اكثر اقناعا . هذا الى ما طبعت عليه النفوس من حب القصص والاقبال عليه ، ومن المسلم به ان الدرس الذي يتعلمه الانسان وهو مستمتع ، اقوى اثرا من الدرس الذي يتلقاه وهو فاتر ، ولو اقتنع عقله بصحته .

والاستاذ لقمان يونس يقف موقفا حكيما بين قارئه وموضوعه ، فهو يتحدث دائما عن خبرة مباشرة ، او هكذا يشعر القارىء ، وهو يعتمد رواية الحدث اساسا لقصته ، ولكنه يمزج هذه الرواية بالوصف والحوار في تلقائية تخيل للقارىء ان الذي امامه ليس حروفا مطبوعة بل محدثا ذكيا لبقا ياسره بدعابته قبل ان ينفعه بحكمته . ثم ان الكاتب لا يتعجل الحلول ولا يسبق حكم القارىء ، بل كانه يريد ان يشركه معه في الحكم ، وهذه المشاركة هي سر من اسرار الكتابة الفنية ـ على اختلاف قوالبها ـ لا يتقنه الا الحذاق . خذ مثلا على ذلك قصة «جرادة في اليد » . فقد تعودت ام صديقه مصطفى ان تلجا اليه شاكية من افعال ابنها . وقد ابت هذه المرة ان تصرح له بسبب الشكوى ، ولكنها رجته ان يقابل مصطفى ويبحث الامر معه . لقد ادخر مصطفى مبلغا من المال ، اراد ان يستثمره بشراء اسهم في شركة من الشركات الوطنية ، ولكن الوالدة عارضت الفكرة واصرت على ان يشتري مصوغات ذهبية ، لانها لا تثق بشيء تجهل مصيره ، وعندها ان « جرادة في اليد ولا عشرة طائرة » . ولا يستطيع الراوي ان يبت برأي ولكنه يوصي صديقه ان يحرص على رضى والدته . وتكون خاتمة القصة بعد ايام ، وقد دعا مصطفى صديقه الى العشاء في داره . وهناك يجد امامه سلسلة من المفاجآت :

« لقد اختفت السجاجيد القديمة ذات اللون الحائل وحلت محلها سجاجيد ايرانية جديدة ، وتوارت الكراسي الخشبية المتداعية ليظهر بدلا منها كنبات انيقة (مع الاعتذار الى المجمع اللغوي) من صنع بلاد اسكندنافيا ، وجهاز تلفزيون رائع حجم شاشته احدى وعشرون بوصة مكان الجهاز الصغير القديم ، وجهاز آخر للراديو هو من الصنف النادر الذي اصبح اقتناؤه موضة الموسم لقلة ما عرض منه للبيع في الاسواق . وقادني الى مائدة الطعام فوقفت مشدوها امام الطاولة والكراسي المصنوعة من الخشب الفاخر وما اصطف عليها من الاواني والفضيات التي لا احتاج الى خبرة ودراية لاعلم انها غالية الثمن جدا . وعندما اخذ ـ بحكم الضيافة ـ يملأ لي صحني لمحت في يده الشيء الذي يزين بنصر يده اليمنى . رباه ! انه خاتم تحليه ماسة كبيرة . ثم انتقل نظري الى يده اليسرى وقد وضعها على المائدة . انها هي الاخرى مزينة عند المعصم بساعة استبكها من الذهب الابريز . ونظرت اليه متسائلا وهممت ان اعلق على هذا الانقلاب ولكن قبل ان اتفوه بكلمة واحدة ابتدرني قائلا وفي لهجة اقسى ما سمعت من تهكم : جرادة في اليد . هيه ! اليس كذلك ؟ » .

لقد استطاع الاستاذ لقمان يونس ان يمتع قارئه ويشغل فكره في آن . فلا عليه ان صاح ناقد ان هذه ليست قصصا . فان الحقيقة اهم من التعريفات .

القاهرة **شكري محمد عياد**

•

خبز الاقويـاء

تاليف ابراهيم المصري ـ ٢٣٢ صفحة ـ الناشر دار المعارف بمصر سلسلة « اقرأ » مطابع دار المعارف بمصر

في هذا الكتاب خواطر وتاملات في تلك القيم من خلقية وعاطفية ووطنية وثقافية . اعتقد واؤمن ان الحياة لا تكتمل الا بها ، وان في رياضة النفس والفكر عليها تتمثل في الواقع قيمة الانسان .

« وقد تجمعت هذه الخواطر في اطواء نفسي من خلال ما ابصرت ولاحظت وعانيت في طريق حياتي . فكنت في هداة الليل وساعات الصمت ، استحضرها جاهدا ، واسرع باقتناصها وتسجيلها قبل ان تطلق لاجنحتها العنان وتفلت مني .

فالى كل من لا يقنع بالمتوسط الشائع المالوف من الآمال والرغبات ، بل يتطلع في لهفة الجائع الى حياة خصبة عليا ، اقدم هذا الخبز المنتقى ، خبز التجربة والالم ، خبز الطامحين الباذلين الاقوياء . »

بهذه الكلمات ، يقدم كاتبنا الكبير ابراهيم المصري ، كتـابـه الجديد « خبز الاقوياء » والكتاب في جوهره انما هو باقة من القيم الانسانية الرفيعة ، هو نتاج معاناة فنان عارك الحياة في شتى تجاربها ، تلك التجارب التي اعاد خلقها جديدا ، فصاغها في قوالب قصصه الوجداني الخلاب والاجتماعي الحي ، صياغة صادقة ، والذي يعرفه قراؤه ونقاده من خلال مجموعاته القصصية التي يتتابع ظهورها منذ اكثر من نصف قرن من الزمان . ولان ابراهيم المصري فنان صادق اصيل ، فهو يستمد مادته القصصية من جزئيات واقعنا المصري الصميم معبرا عن « النفسية المصرية » تعبيرا حيا شاملا . وقد اكسبت تلك الشمولية فنه القصصي لونا انسانيا رفيعا . واذا كان ابراهيم المصري يبدأ من الواقع الجزئي في قصصه فنحن ننتهي معه الى الكليات الفكرية في دراساته وكتبه الاجتماعية والنقدية .

وتلك الكليات الفكرية هي المثل العليا والقيم الانسانية الرفيعة . فكاتبنا الكبير هو فنان ومفكر في وقت واحد ! لا يقوم قصصه على فكره ، ولكن فكره هو نتاج لتجاربه ، وفلسفة لفنه . ولذلك فالحديث عن ابراهيم المصري كمفكر يستوجب تلك الاشارة السريعة الى فنه القصصي . وكتابه « خبز الاقوياء » هو كتاب في القيم والمثل العليا التي هي ليست بالافكار التجريدية ، ولكنها افكار روحية نابعة من حياة فنان ، حياة يعيشها بقلبه وحسه وبعقله التاملي معا ! فهو اذن كتاب الحياة في ثوب الفكر ، وهو كتاب الفكر الحي المتجسد !

وسنحاول ـ هنا في هذه العجالة ـ ان نستعرض معا بعض جوانبه . وتعد محاولاتنا هذه المامة خاطفة والماحة سريعة ، لا تغني عن الرجوع اليه ، فهو نبع دافق من حكمة الحياة وفيض وضاء من فلسفة التجربة .

ونحن عندما نفتح معا اولى صفحات كتابه الجديد ، نجده يحدثنا عن « قيمة الاخلاق » : .. فالتفوق في الفضائل والاخلاق عنده انما يصدر اكثر ما يصدر عن القلب والروح لا عن العقل المجرد ! هو يربط القيمة الاخلاقية بالواقع النفسي والاجتماعي معا ، فيكشف عن منبت الداء في شتى رذائلنا ويعطي لنا تركيبا فريدا لفضائلنا . ثم عندما ينتقل بنا الى « قيمة المال » يقول ـ مثلا ـ : « هناك ساحر خبيث يعرف ما للمال من سلطان فيأبى الا ان يطمره في قبو فاذا استبدت شهوة المال بانسان اجبرته على ان يحني برأسه ما استطاع كي ينفذ الى المال من باب القبو ! » . ويقول ايضا : « ... وما دمت تكافح سعيا وراء يسر مادي معقول ومشروع ، ولا تغفل النظر الى مطالب عقلك وفكرك وثقافتك وكيانك المعنوي ، فانت ستقر في نفسك التعادل بين المادة والروح . وهذا التعادل هو سر السعادة وجوهرها الباقي » .

ويكاد لا يختلف اغلب الفلاسفة في الراي بصدد تلك الثنائية الابدية المصطرعة ، ثنائية المادة والروح ، العقل والقلب ، الواقع والمثال . فالتوازن النسبي بينهما يتيح للانسان قدرا من السعادة . ولكن يحق لنا ان نسأل : كيف يقيم الانسان جسر التوازن ـ غير المشوب بالم الصراع وقلق التارجح ـ بين ضدين متنافرين ، بين طرف هو نفحة من نور الله ، وآخر هو لفحة من نار الشيطان ؟! ـ فالصراع ابدي في نفس الانسان بين القيد والحرية ، بين النظام والفوضى ، بين الاعتدال والانطلاق ، بين هداة الشاطىء وسحر البحر ، كما يقول ابراهيم المصري في مقدمة مجموعته القصصية « الشاطىء والبحر » ـ ولكننا اذا تابعنا رحلتنا الشيقة عبر صفحات « خبز الاقوياء » ، فاننا قد نعثر على مفاتيح تساؤلاتنا . فلنفتح معا صفحات « قيمة الارادة » ، ولناخذ من فيض الحكمة التجريبية قبسا يضيء لنا عتمة كهف الحياة المستغلق ! يقول كاتبنا : « ان الانسان بالحرية هو سيد مصيره وسيد العالم ، في وسعه ان يقتحم كل ما في الكون من غامض ومستغلق وان يتحدى الطبيعة ويصنع المعجزات ! .. وان قيمتك ان تستمد من طاقتك ارادة ، وانك جئت الى هذه الدنيا ، وان مجدك في ان تلهب طاقتك وقوتك ، وان تكون بارادتك نحات نفسك .. »

ان كاتبنا يقدم لنا هنا وجبة من « خبز الاقوياء » لنداوي بها ارواحنا من الخور . فما احوجنا حقا نحن اهل الشرق الى هذا الخبز ! فبهذا الخبز وحده يستطيع ن يبرأ من « انيميا الارادة » ! ولن تكون الارادة قوة الا اذا كانت واعية وهادئة ومثابرة لا يثنيها الفشل ولا تفت في عضدها احداث الزمن ! ولا تنخر في عمدها الشهوات والاهواء والعادات السيئة ! ويحثنا على العمل بلا تردد ويحذرنا من وساوس العقل . ويعرف العظيم الحق بفضيلتين هما : الطموح والحب ! ـ وعظيم الارادة هو من غلب في نفسه مشاعر الخوف والقلق . ومع ذلك ، فما يزال تساؤلنا قائما : هل يستطيع الانسان حقا ان يكون بطلا مغوارا قادرا على مغالبة الوراثة ، وجبرية الظروف الاجتماعية ؟!

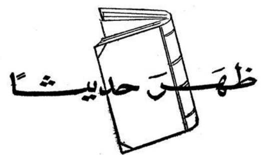
والان ، لنفتح صفحات « قيمة الحب » ، نجده يقول : « اعتقد ان الانسان مادة وروح ، وانه اسير في سجن جسده ، ونزاع الى التحرر من قيد حواسه ... وان الاصل في الحب شعور ديني متاصل في النفس البشرية ، شعور يدفع بالفرد الى التسامي بشهوته ! والحب عدو للامتيازات الطبقية لانه عدو الاستبداد ووليد الفطرة السمحة الحرة ! والقلب في الحب هو الذي يجمع ، واما الشهوة الجنسية وحدها فكثيرا ما تفرق ! فكيف للقلب ان يكون متطهرا قادرا على الصفاء والعطاء الا بالفن والثقافة ؟!

وهنا تتجلى « قيمة الثقافة » ، وقيمة الادب والفن . فلا امتياز للانسان الا بالثقافة ! فهي مجلى الحضارة ومطلبها الاول والاخير ، وينابيع الوحي الثلاثة للفنان هي : الله والمراة والكبرياء ! وينتقل كاتبنا الى « قيمة الوطنية » فيقول ان الشعور بالوطنية هو شعور بين ابناء الوطن الواحد بالمشاركة في عواطف ثلاث : عاطفة تمجيد ، وعاطفة الم ، وعاطفة رجاء . فهي العناصر التي تنهض بشعب وتؤكد وجود امة . وان كان انقاذ الحضارة منوط بتعميمها فان انقاذ الوطن منوط بالجمع بين ابنائه ومحو الفوارق الطبقية التي تفصل بينهم . ثم يستنهض كاتبنا همم شباب الوطن بصرخات مدوية ليحثهم على العمل والكفاح وعلى التزود بالثقافة والمعرفة ثم هو يضرب الامثال الرائعة العديدة في الوطنية الصادقة ولا يكف عن حث الشباب على الايمان بارادة القوة ، وبارادة الحياة كما ينبغي ان تكون الحياة ! ويحضهم على التمسك باهداب الايمان الديني في فصل « قيمة الدين » .

فيقول ان من كان مؤمنا ثم الحد انما يحس بالغربة والضياع ، فاليقين الديني دعامة جوهرية لاقامة جسر سعادة الانسان . وبطولة المؤمن عنده هي ارادة الخلق والانتاج الدائم . لقد ابدع الله الانسان كي يجعل منه بطلا في الجهاد وفي السمو بالحياة . ان ابراهيم المصري يذهب هنا مذهب الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » في الارادة ، فهي عندهما المبدأ الذي يدفع الانسان الى التفوق والاستعلاء .

ويختتم كاتبنا كتابه الفريد « خبز الاقوياء » بوقفة طويلة رائعة « امام الموت » فيقول فيما يقول : « نحن كلما انكرنا بالرغم منا فناءنا المحتوم ، الهب الانكار فينا ارادة البقاء وامدنا بالقوة على مغالبة الحياة . » وبهذا كله يتوج كتابه الفريد ب « قيمة الانسان » ! وهكذا يقدم لنا كاتبنا الذي تجاوز من عمره السبعين ، امد الله في عمره ـ « خبزا » حيا في « كلمة » جذلة صافية نقية ، هي روح الفنان التي اثرتها تجربة الالم النبيل ، هي نبع الفكر الذي لا ينضب معينه . هي روح الشباب في دثار الشيخوخة . ذلكم هو كتاب ، خبز الطامحين الباذلين الاقوياء !

الاسكندرية — حسني محمد بدوي



● قريتي الخضراء ـ شعر ـ احمد قنديل ـ صمم الغلاف حمد كليب الحارثي ـ ٣٢ صفحة ـ الكتاب رقم ١٠ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة ، الملز بالرياض .

● نشاة الصحافة العربية بالاسكندرية ١٨٧٣ ـ ١٨٨٢ ـ تاليف عبد العليم القباني ـ ١٢٨ صفحة ـ سلسلة المكتبة الثقافية ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● الشيخ نصر الدين والحب والسلام والامل ـ شعر ـ عبد المنعم عواد يوسف ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .

● ابني ... مع الاحداث ـ تاليف شفيق الفقيه ـ الجزء الاول ـ ٨٠ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● ابني ... بين حربين ـ تاليف شفيق الفقيه ـ الجزء الثاني ـ ٨٠ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● معجم الحروف والظروف ـ تاليف يوحنا قمير ـ ١٤٤ صفحة ـ مطابع الكريم الحديثة في جونية لبنان .

● تذكار ـ مجموعة شعرية ـ انيس روفائيل ـ الجزء الثاني ـ تقديم فوزي غازي ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الانشاء للطباعة والنشر في طرابلس لبنان .

● احلام على الرصيف المجروح ـ رواية ـ تاليف الدكتور بديع حقي ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● روائع طاغور في الشعر والمسرح ـ نقلها الى العربية الدكتور بديع حقي ـ الغلاف بريشة الفنانة بتول ملاطي ـ ٤٨٨ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● الطيور ـ رواية ـ تاليف مهدي النجار ـ ٨٤ صفحة ـ منشورات « الثقافة » ببغداد ـ مطبعة دار التضامن ببغداد .

● صراع بين الفضيلة والرذيلة ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ ١١٦ صفحة ـ الكتاب رقم ٥ من سلسلة قصص من التاريخ ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لمحات في الثقافة الاسلامية ـ تاليف عمر عودة الخطيب ـ ٣٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الرسالة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الفهد ـ رواية تاليف جوزيبي تومازي دي لامبيدوزا ـ ترجمة عيسى الناعوري ـ تقديم المستعرب الايطالي اومبرتو ريتستانو ـ مصمم الغلاف بول غيرغوسيان ـ ٣٦٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ طبعت الرواية بالتعاون مع المعهد الثقافي الايطالي في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● خليل مطران شاعر الاقطار العربية ـ تاليف فوزي عطوي ـ الغلاف بريشة الفنان جمال قطب ـ ١٥٤ صفحة ـ منشورات « كتاب الهلال » بالقاهرة ـ عدد فبراير ١٩٧٤ ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● ديوان جبران ـ جبران جبور ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الامم ببيروت (لم يذكر اسم المطبعة).

● صالح جودت في الميزان ـ تاليف عامر العقاد ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الندوة (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اسرار لغوية ، معربة ومعلق عليها ويلي ذلك نبأ اكتشاف حلقة اللغة المفقودة ـ تاليف ملحم ابرهيم البستاني ـ ١٢٠ صفحة ـ طبع في دار غندور (؟) .

● فلسطين الثائرة ـ مسرحية شعرية من اربعة فصول ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة فن الطباعة بعين الرمانة بيروت .

● نسمات برازيلية ـ تعريب الشاعر فيليب لطف الله رئيس جامعة القلم ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المراحل بسان باولو .

● جراحات قلب ـ مجموعة شعرية ـ طارق الطاهري ـ ٥٠ صفحة ـ مطبعة البصرة بالعراق .

● المتنبي يسترد اباه ـ دراسة في نسب المتنبي ـ تاليف عبد الغني الملاح ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات دار التآخي للطباعة والنشر ببغداد ـ مطبعة التآخي ببغداد .

● محافظة دير الزور قلب وادي الفرات في سورية ـ تاليف عبد القادر عياش ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر في دير الزور سورية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اغاني ترقيص الاطفال عند العرب ـ تاليف احمد ابو سعد ـ ١٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● السيف والتابوت ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ مصمم الغلاف محمد الحسامي ـ ١٨٦ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق .

● نبي نينوى ـ محاورة ـ تاليف محفوظ ايوب ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● بلا جناح ـ صور ـ تاليف الدكتور عارف العارف ـ الرسوم بريشة بول غيراغوسيان ـ مصمم الغلاف ابراهيم عيد ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الفتح ـ (صدر في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● محافظة الرقة قلب الجزيرة الفراتية في سورية ـ تاليف عبد القادر عياش ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر في دير الزور سورية ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● خبز الاقوياء ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ٢٢٢ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٣٨٠ ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● تطور فهرسة المخطوطات في العراق ـ تاليف كوركيس عواد ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مستل من المجلد الثالث والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي .

● اوراق الليل ـ مجموعة شعرية ـ نعمان ماهر الكنعاني ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● علم المكتبات : الادارة والتنظيم ـ اعداد وتاليف عبد الله انيس الطباع مجاز في علم المكتبات في مدريد ـ ٣٣٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سيرة ذاتية لسارق النار ـ شعر ـ عبد الوهاب البياتي ـ مصمم الغلاف هاشم سمرجي ـ الرسوم الداخلية ليحيى الشيخ ـ ١١٠ صفحة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعلام العراقية ـ سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث رقم ٤٧ ـ مطبعة الاديب البغدادية ببغداد .